# اهمّ التأثيرات المعماريّة والفنيّة المتبادلة بين العراق والمغرب العربيّ في العصر الأسلاميّ

الدكتور
احمد قاسم جمعة

قام العرب بعد ان وحد الاسلام كلمتهم بحمل مبادئه وكانوا في بداية الامر منشغلين بالجهاد والفتوحات غير مكترثين بالمظاهر الدنيوية ولهذا فلا عجب اذا تأثروا في مجال العمارة والفنون بالطرز التي سبقتهم ولاسيما الساسانية والبيزنطية منها التي كانت سائدة في المناطق التي دانت لسلطانهم .

واقتباس كل امة من الامم لبعض المظاهر الحضارية — ومنها العمارة والفنون — من الامم التي سبقتها أمر طبيعي ، لان الحضارة الانسانية حلقات متعددة يكمل بعضها بعضا . ساهمت في تكوينها اقوام متعددة في اماكن مختلفة وازمنه متفاوتة .

ولكن سرعان ما انتقل العرب قبل انتهاء القرن الاول الهجري/السابع الميلادي من دور اقتباس الى دور التطوير والابتكار وكونوا طرازا فنيا ومعماريا له اساليبه ومميزاته بحيث اثر في كثير من النواحي المعماريه والفنية في اوربا خلال القرون الوسطى .

ومما يؤسف له ان الوجه الحقيقي لذلك الطراز العربي الاسلامي لم يبدو على حقيقته بصورة كاملة وذلك لاندثار كثير من العمائر وعدم صيانة معظمها على اسس سليمة فضلا عن فقدان كثير من النفائس الاثرية المنقولة ، كما ان بعض المستشرقين الذين كان لهم السبق في دراسة الاثار العربية قد خصصوا جانبا من جهودهم لحجب اي فضل للعرب والمسلمين في مجال الفنون والعمارة علاوة على التوجيهات التي اوحت الى بعض الدارسين والمثقفين العرب بتركيز الجانب الاكبر من اهتمامهم على الاثار القديمة السابقة للاسلام ثم منح ما بقي من ذلك الاهتمام للاثار العربية في العصر الاسلامي (١) . ونحن لاننكر اهمية الاثار القديمة السابقة للاسلام ولكن آن الاوان للكشف عن اثارنا العربية الاسلامية والعمل على حفظها ودراستها لكي لانبقى في فراغ حضاري في هذا المجال ولكي لا يفقد جيلنا الحاضر واجيالنا اللاحقة الصلة بتراث الاجداد .

(١) الدكتور فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الاسلامية ، القاهرة ١٩٧٠م ، المجلد ١ ، ص ٢٥ .

والبحث سيركز على أهم التأثيرات المتبادلة بين العراق واقطار المغرب العربي في العصر الاسلامي من حيث المظاهر الفنية والعناصر المعمارية في المباني الاثرية واسباب ذلك وكيفية حدوثها، والتطرق الى اصولها وكيفية تطورها بالقدر الذي يفي بالغرض وتقتضيه طبيعة البحث.

وسيكون اعتمادنا في ذلك على مدى التشابه بين تلك المظاهر والعناصر، علما بأن التشابه الحاصل بينها لايكون في جميع الحالات دالا بالضرورة على التأثير المتبادل، وانما يكون محليا في بعض الاحيان ينشأ عن طريق الصدفة. والعراق يعد من اهم اقطار المشرق العربي حضاريا بفعل نشأة بعض الجذور الحضارية التي ترقى فيه الى عصور ماقبل التاريخ اذ ترعرع في كنفه كثير من الحضارات القديمة: كالحضارة السومرية والاكدية والبابلية والاشورية، فضلا عن تأثره بالحضاره الساسانية نظرا لوقوع معظم مناطقه ضمن الحكم الساساني انذاك، كما اصبح مركزا للخلافة العباسية مدة ناهزت الخمسة قرون ابان العصر الاسلامي.

اما اقطار المغرب العربي فقد كان لها هي الاخرى دور حضاري لانها وقعت تحت التأثيرات الحضارية السابقة للاسلام ومنها الحضارة الاغريقية والرومانية والبيزنطية، كذلك اصبح لها دور الريادة في تغذية الحضارة الاوربية بكثير من اصول حضارتها العربية الاسلامية بحكم موقعها.

ولما كانت مصر تعد من اهم حلقات الربط الحضاري بين مشرق العالم العربي ومغربه بحكم موقعها الجغرافي، لذ سنتعرض الى عناصرها المعمارية وظواهرها الفنية ذات العلاقة بالتأثيرات الوافدة من العراق الى اقطار المغرب العربي وبالعكس.

وقد امتازت الفنون والعمارة العربية الاسلامية بالوحدة التعبيرية التي جاءت نتيجة للتاثيرات الفنية المتبادلة بين اقطار الوطن العربي بفضل الوحدة السياسية والحضارية فيما بينها لفترة طويلة بعد ظهور الاسلام وحتى حينما كان يحدث انفصال بعض المناطق الا ان اغلبها كان يدين بالولاء ولو بصورة اسمية — للدولة المركزية

ادى هذا بطبيعة الحال إلى تبادل الولاة والحكام بين الاقاليم المختلفة الذين كان لهم الفضل الكبير في نقل الظواهر الفنية والمعمارية من اقليم لاخر ومن الامثلة على ذلك الوالي الاموي عبيدالله ابن الحبحاب الموصلي الذي ولي مصر وشمال افريقيا من بعدها (١) فقد ذكر انه جاب قسما من عائلات الموصل إلى تونس واقرها فيها وادخلت هذه العوائل بعض المميزات الفنية من العراق الى هذه الربوع (٢) كما نقل الولاة العباسيون من الاغالبة إلى تونس قسماً من المميزات الفنية والمعمارية من العراق ومصر ومنهم ابراهيم بن الاغلب (٣) كما ان احمد بن طولون الذي ترعرع بمدينة سامراء بالعراق تاثر بتصميمها المعماري وزخارفها ونقلها إلى مصر عندما ولي امرها (٤) كذلك فان الحكام الفاطميين لما نقلوا مقر حكمهم من القطر التونسي إلى مصر سنة (٢٦١هـ/٩٧١م) ادخلوا بعض اساليب العمارة التونسية إلى القاهرة (٥).

وكان لتنقل الصناع وهجرتهم من قطر إلى آخر اثره الفعال في هذا المجال وكدليل على ذلك قدوم بعض الصناع واهل الحرف من مصر إلى الموصل في

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، ج١، ص ٢٦٦ ؛ ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في اخبار المغرب، ( أخبار العرب)، بيروت ١٩٥٠ م ، ص ٥١ ؛ أبو العباس بن خالد الناصري : الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء ١٩٥٤م، ج١، ص ١٠٥ ؛ خير الدين الزركلي : الاعلام، قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الطبعة الثانية، مطبعة كوستانسوماس وشركاه ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٤ م، ج٤، ص٣٤٥.

(٢) سليمان مصطفى زبيس : المحاريب في العمارة الدينية بالمغرب العربي، المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية ، تونس ١٨-٢٩ مايو (آيار) ، القاهرة ١٩٦٣ م؛ ص٥٥٥، و ٥٥٦.

(٣) الدكتور احمد فكري : مسجد القيروان، مصر ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م ص ١٢٩ ؛ حسن عبد الوهاب : الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة، المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية، ص٣٥٩، و ٣٦٠.

(٤) شافعي : المرجع السابق ، ص ٤٢١ ؛ حسن عبد الوهاب : من روائع العمارة الاسلامية في مصر، المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية، ص ٣٠٢.

(٥) عبد الوهاب : الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة، ص ٢٦١.

اواخر القرن (٦هـ/١٢م) اثره في تنشيط الصناعة والفنون في مدينة الموصل (١) ، وهجرة الفنانين من الموصل إلى ربوع الشام ومصر بعد استيلاء المغول على مدينتهم سنة (٦٠٠هـ /١٢٦٢م) ادى إلى نقل بعض الفنون والصناعات الموصلية — ومنها صناعة المعادن — الى دمشق والقاهرة (٢) .

ولاننسى للفنون التطبيقية والعناصر المعمارية التي يمكن نقلها من قطر إلى آخر على ذلك التاثير كما هو الحال بالنسبة لمنبر جامع القيروان الذي صنع في العراق ثم نقل إلى هذا الجامع (٣) فمما لاشك فيه ان المميزات الفنية لمثل هذه التحف تؤثر في المناطق التي نقلت اليها .

ومن اهم العوامل الاخرى التي ادت إلى ذلك التأثير : التبادل الثقافي وتنقل الرحالة وما سطروه في معاجمهم من وصف للبلدان والاثار (٤) كما هو الحال بالنسبة للرحالة الاندلسي بن جبير الذي زار معظم اقطار المغرب والمشرق العربي ووصف كل ماشاهده من الاثار الشاخصة (٥)ورحلة العلماء من قطر لاخر وما ينتج عن ذلك من تأثير فني اضافة إلى التأثير العلمي وذلك لالمام بعضهم بالنواحي الفنية والصناعات التطبيقية إلى جانب تخصصهم بمختلف العلوم . ومن امثلتهم العالم النحوي اسماعيل بن يوسف المعروف بالطلاء المنجم فهو اول من

---

(١) سعيد الديوه جي : الموصل العهد الاتابكي، بغداد ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م، ص ٤٥.

(٢) الدكتور احمد قاسم الجمعه : الآثار الرخاميه في الموصل خلال العهدين الاتابكي والايلخاني ؛ رسالة دكتوراه ( غير منشوره) مقدمة جامعة القاهرة ١٩٧٥م ، ص ٣٥٧ ؛ صلاح حسين العبيدي : التحف المعدنية الموصلية في العصر العباسي، بغداد ١٣٨٩ هـ/١٩٧٠م ص ٢٥.

(٣) الدكتور فريد شافعي : الاخشاب المزخرفة في الطراز الاموي، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة، المجلد ١٤، ج٢، سنة ١٩٥٢م، ص٧٥ ؛ مانويل جوميث : الفن الاسلامي في اسبانيا ، ترجمة الدكتور لطفي عبد البديع والدكتور محمد عبد العزيز سالم ومراجعة الدكتور جمال محمد محرز ، مصر ١٩٦٨م ، ص ٤٣.

(٤) عبد الوهاب : المرجع السابق، ص٣٦٠.

(٥) انظر رحلة بن جبير .

من ادخل الطلاء العراقي(الترجيج او القاشاني)إلى المغرب العربي بالقيروان(١) عام (٢٤٨)هـ في محراب المسجد الجامع (٢) علاوة على افواج الحجاج الذين ، كان منهم فنانين على الارجح (٣) وكذلك النواحي السياسية التي ادت إلى تنقل الجيوش بين المناطق (٤) بغية القيام بالفتوحات والقضاء على الحركات الانفصالية وطرد الغزاة لتوحيد البلاد .

ومن تلك التأثيرات المتبادلة ظاهرة المداخل البارزة عن مستوى الجدران المثبتة فيها قد وجدت امثلتها الاولى في العراق في مداخل الواجهة الشمالية لخان عطشان ( ١٦١هـ/ ٧٧٧م ) وطالعتنا هي الاخرى في بعض عمائر المغرب العربي ومنها مدخل مسجد المهدية في تونس ( ٣٠٣ — ٣٠٨ هـ / ٩١٥ — ٩٢٠ م ) (٥) ومسجد تينملل (٥٥٨ هـ / ١١٥٣م ) بالمغرب (٦) وقد تمثلت نفس الظاهرة بالمدخل الرئيسي لجامع الحاكم بالقاهرة ( ٣٨٠ — ٤٠٣هـ / ٩٩٠ — ١٠١٢م ) (٧) من العهد الفاطمي ، وربما تأثر هذا المدخل بمدخل مسجد المهدية المذكور (٨) لان شمال افريقيا كان خاضعاً للحكم الفاطمي في هذه الفترة (٩) .

(١) القفطي : انباه الرواة على انباه النحاة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠م، جـ١، ص ١٣.

(٢) جورج مارسيه : الفن الاسلامي، ترجمة الدكتور عفيف بهنسي، ومراجعة عدنان بني، دمشق ١٩٦٨م ؛ ص٦٧.

(٣) عبد الوهاب : المرجع السابق؛ ص ٣٦٠ ؛ شافعي : العمارة العربية في مصر الاسلامية، ص ٥٦٧.

(٤) المرجع والصفحه نفسها.

(٥) الدكتور احمد فكري : العمارة الاسلامية ، في مصر ، القاهرة، ص ٨٢ .

(٦) صبحي أعشى : نماذج من الفن المعماري الموحدي بالمغرب، المحمدية بالمغرب ١٩٧٧م، ص ١٨.

(٧) عبد الوهاب : المرجع السابق، ص ٣٧١ ؛ الدكتور عبد الرحمن زكي : القاهرة تاريخها وآثارها من جوهر الصقلي إلى الجبرتي المؤرخ، القاهرة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦ م، ص٥٤.

(٨) سامح : المرجع السابق، ص ٨٢ ؛ الجمعه : المرجع السابق، ص ٤٨.

(٩) عبد الوهاب : المرجع السابق، ص ٣٦٠و ٣٦١.

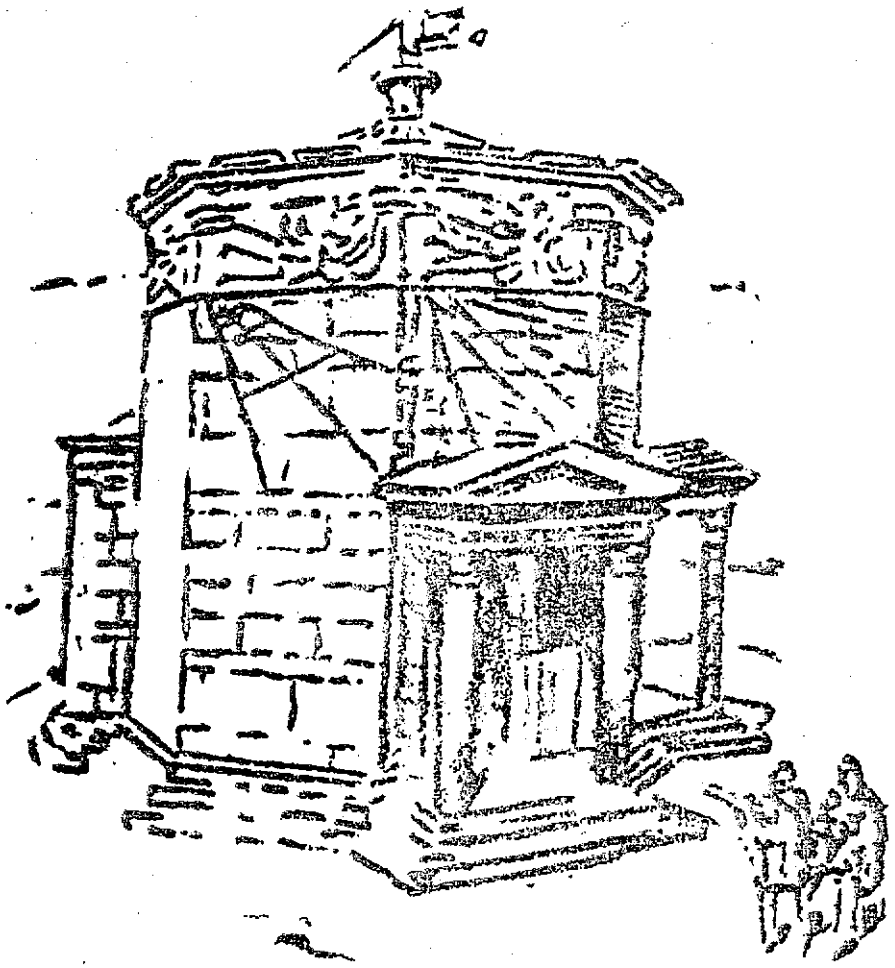

رسم (١) واجهة برج الرياح باثينا ( نقلا عن Fletcher )

وظهر عنصر معماري آخر في العراق قبل ظهوره في المناطق العربية الاسلامية له علاقة بالمداخل وهو عنصر السقائف التي تتقدمها ومن الامثلة الاولى على ذلك السقيفة التي تتقدم الدرج الصاعد الى الغرفة الواقعة في كل برج من الابراج نصف الدائرية المحيطة بسور قصر الاخيضر (١) ، ثم أنتقل هذا العنصر الى بعض اقطار المغرب العربي الاسلامي ، كما هو الحال في سقيفة مدخل جامع ابي فتاتة في مدينة سوس (٣١٣-٣٢٦هـ/٩٣٤-٩٣٧م) . ويظهر ان الفاطميين تأثروا بفكرة سقيفة الجامع المذكور ونقلوها الى مدخل مسجد الصالح طلائع بالقاهرة (٥٥٥هـ/١١٦٠م) (٢) التي تعد من أقدم الامثلة

(١) سامح : العمارة في صدر الاسلام، ص ٩٨ .

(٢) المرجع نفسه، ص٨٢.

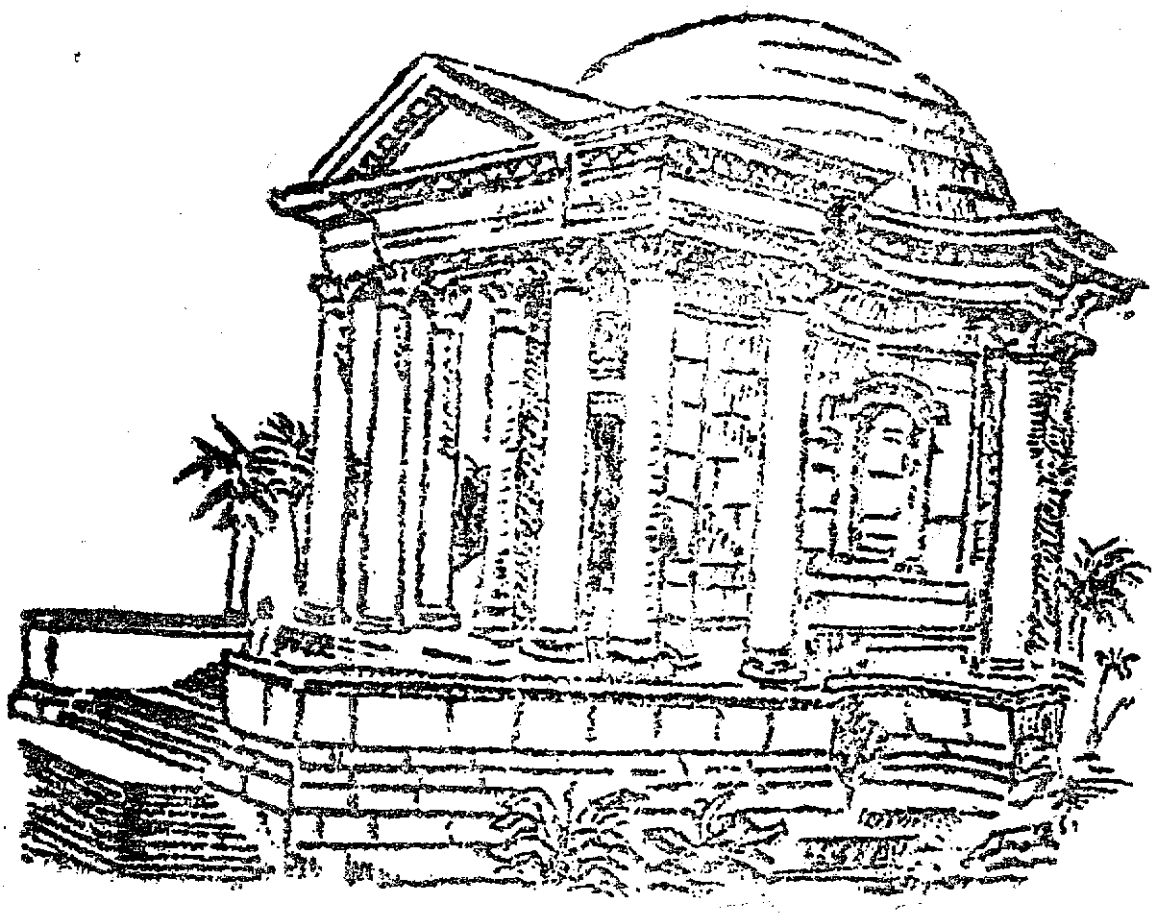

رسم (٢) واجهة معبد فينوس ببعلبك (نقلاً عن Fletcher )

على السقائف التي تتقدم المداخل في مصر (١) .

والجدير بالذكر ان ظاهرتي المداخل البارزة والسقائف التي تتقدم المداخل وجدت في الطرز المعمارية السابقة للاسلام . ومن الامثلة على الظاهرة الاولى بعض المداخل في العراق القديم (٢) ، بينما وجدت الظاهرة الثانية في العمارة الهلنستية (٣) (رسم ١) والرومانية (٤) رسم (٢) .

---

(١) عبد الوهاب : المرجع السابق، ٣٧٨ ؛ الجمعه : المرجع السابق، ص ٥٠ .

(٢) سبتينو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة، ترجمة الدكتور السيد يعقوب ابو بكر ومراجعة الدكتور محمد القصاص، القاهرة، ص ١٠٩ .

Scranton (R.L.), Aesthetic Aspects of Ancient Art, Chicago 1964 Pl.42.

(3) Fletcher (B.), A history of Architecture on the Comparative Method, 7th Edition, London 1961. 1963, P. 141G .

(4) Ibid ., P. 195H .

كما ان ظاهرة المداخل المنحرفة (المزورة) (١) التي وجدت في مدينة بغداد

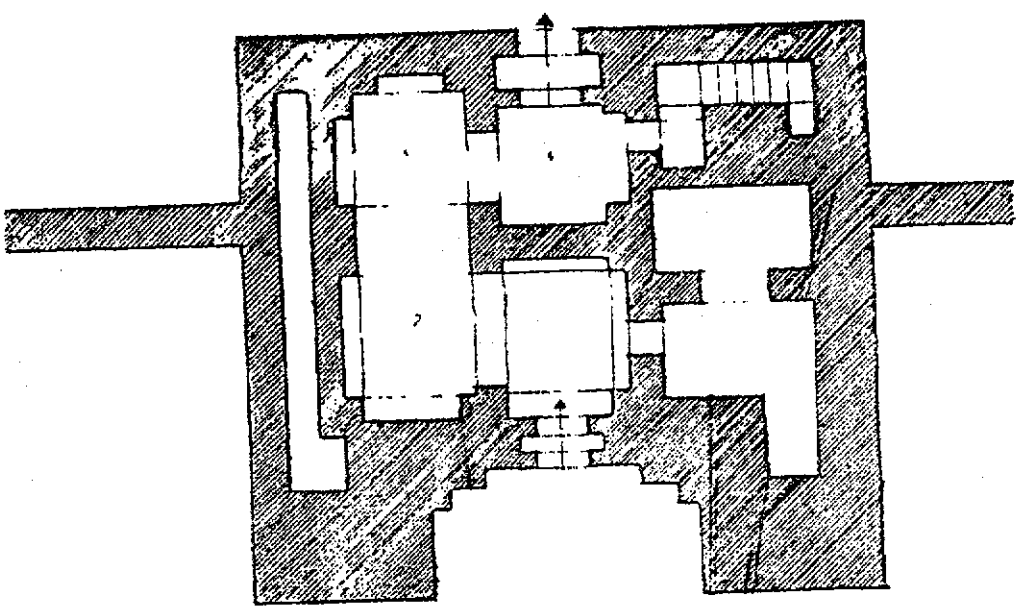

رسم (٣) باب الرواح بالرباط في المغرب ( نقلا عن صبحي اعش )

(١) المدخل المنحرف او المزور : يخفي وراءه غرضاً عسكرياً اذ لوحظ فيه ان يضطر الغزاة بعد اقتحامه إلى الانحراف إلى اليسار للعبور إلى مدخل ثان، فتتعرض جوانبهم اليمنى للسهام الموجهة اليهم من شرفات الحصن المقابل للمدخل، وكان الجند يحملون الدروع بايديهم اليسرى، فتبقى جوانبهم مكشوفه.
الدكتور احمد فكري : مساجد القاهره ومدارسها – المدخل – القاهره ١٩٦١م. ص ٣٤ حاشية ٢ ؛ طاهر مظفر العميد : بغداد مدينة المنصور المدورة، النجف ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ص ٢٢٠ – ٢٢١).

(١٤٥هـ / ٧٦٦م) (١) ظهرت بعد ذلك في مصر كما في قلعة صلاح الدين بالقاهرة القرن ( ٦هـ / ١٢ ) وتعدتها الى المغرب العربي كما في مدخل الرواح بالرباط من فترة معاصرة (٢) رسم (٣) .

ويمكن اعتبار المداخل المذكورة من العناصر المعمارية المبتكرة في العمارة العربية السابقة للاسلام وذلك لوجودها في مدينة الحضر بصورة واضحة (٣). ووجود مثال بيزنطي في شمال افريقيا يرجع تاريخه الى سنة ( ٨٥٩م ) لا يعني انه أبتكار بيزنطي لانه جاء متأخر عن بناء مدينة بغداد بما يقرب من مائة سنة (٤) . وبهذا تعد مداخل بغداد من اقدم الامثلة العربية للمداخل المزورة (٥) في العصر الاسلامي .

واذا تناولنا المحراب المجوف نجد ان اقدم امثلته الباقية في العالم الاسلامي محراب جامع القيروان من ايام الوالي عقبة بن نافع (٥٠ هـ/ ٦٧٠ م) (٦) ثم انتقلت فكرة المحاريب المجوفة إلى اقطار المشرق العربي الاسلامي بعد ذلك ومن اقدم امثلتها المحراب الموجود في الضلع الجنوبية من المثمن الخارجي لقبة الصخرة

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، القاهرة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م، ج١، ص ٧٤ ؛ ابن الفقيه الهمداني: بغداد مدينة السلام، تحقيق الدكتور احمد صالح العلي، سلسلة التراث (٦١)، الطبعه الاولى، باريس ١٩٧٧م، ص ٣٦ ؛ الدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسه: بغداد قديماً وحديثاً، بغداد ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م، ص ٥٠ ؛ الدكتور احمد فكري: المرجع السابق، ص ٣٤، حاشية ٢ ؛ طاهر مظفر العميد: المرجع السابق ، ص ٢٢٠و٢٢١و٢٣٢ .

Creswell (K.A.C.), A short Account of Early Moslim Architecture, Penguin and Pelican Book 1958, P. 175- 179.

(٢) اعشى: المرجع السابق، ص ٥٠، شكل ٦.

(٣) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى: الحضر مدينة الشمس، بغداد ١٩٧٤ م، ص١١.

(٤) فكري: المرجع السابق، ص ٣٤، حاشية ٢ .

(٥) المرجع والصفحه نفسها؛ العميد: المرجع السابق، ص ٢٣٢ ؛ اعشى: المرجع السابق، ص ٥٠ .

(٦) فكري: مسجد القيروان، ص٥٩ ؛ شافعي: المرجع السابق ص ٦٠٧ .

من عهد عبد الملك بن مروان (٧٢ هـ/ ٦٩١م) ثم محراب الجامع الاموي (١) وامتدت الفكرة بعد ذلك إلى الحجاز كما هو الحال في المسجد النبوي من عهد عبد الملك بن مروان وفي ولاية عمر بن عبد العزيز (٨٨هـ/ ٧٠٦م) (٢) ثم انتقلت بعد ذلك إلى العراق ومن اقدم الامثلة على ذلك المحراب المجوف في قصر الاخيضر (١٦١هـ/٧٧٧م) (٣) .

كما ان المحاريب المجوفة ذات الصدور والمساقط المضلعة ظهرت في العراق ومثالها محراب الجامع الثالث في واسط (٤) ، كما وجدت امثلتها في المغرب العربي الاسلامي ويلاحظ في محراب جامع قرطبة (٥) ومحراب مسجد تينملل بالمغرب (٦) .

وأذا تتبعنا التكوين المعماري لهيئة محراب مزار بنجة علي في الموصل بالعراق ( ٦٨٦/هـ ١٢٨٧م ) المتكون من تجويف وسطي تحيطه طاقتان ( رسم٤ ) وما يماثله من تكوين في الحنية الواقعة في الحائط الغربي لكنيسة مار بهنام

---

(١) المرجع نفسه، ص ٦١٣.

(٢) شافعي: المرجع السابق، ص ٦٠٤ .

(٣) المرجع نفسه، ص ٦٠٠ .

ومما يجدر التنويه اليه أن بعض العلماء العرب ومنهم الدكتور احمد فكري والدكتور فريد الشافعي قد اثبتوا ان فكرة المحراب المجوف في الاسلام اقتضتها الحاجه الوظيفية والضرورة المعمارية، وفندوا ماأورده بعض المستشرقين من ان الفكرة مقتبسة من الحنية المجوفة في الكنائس ومنهم مس بل وكريسويل( فكري : المرجع السابق ص ٥٤—٦٠؛ بدعة المحاريب، مجلة الكاتب المصرية ، المجلد٤، العدد ١٤ ص ٣٠٦— ٣٢٠ شافعي: المرجع السابق ص ٥٨٤— ٦١٩ ؛

Bell (G.L.), Palace and Mosque at Ukhaidir. Oxford 1914, P. 147; Greswell (K.A.C.), Early Muslim Architecture, Oxford 1932, Vol. I, P. 99.

(٤) فؤاد سفر: تنقيبات واسط، القاهرة ١٩٥٢م، ص٢.

(٥) Sordo (E.), Moorish Spain Cordoba Seville Granada, Canada 1963, P. 24, Fig. 93.

(٦) انظر: المرجع السابق، لوحة(٤) .

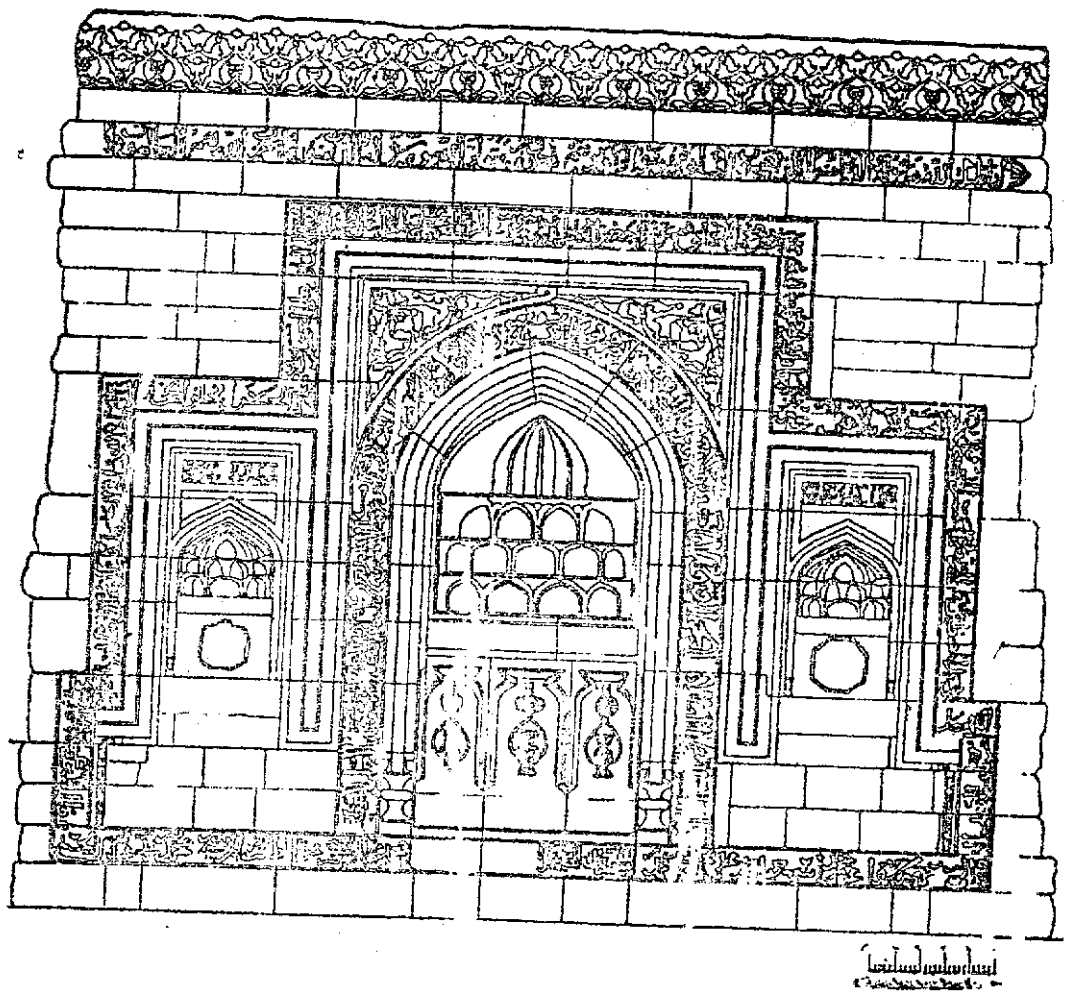

رسم (٤) تخطيط واجهة محراب مزار بنجة علي بالموصل
( تخطيط الدكتور احمد قاسم الجمعة )

بجوار الموصل(١) من فترة مقاربة نجد — ما يماثل ذلك من حيث الفكرة قد شاع في اقطار المغرب العربي كما هو الحال في بوابة مسجد المهدية بتونس (٣٠٣— ٣٠٨هـ/٩١٥—٩٢٠م)من العهد الفاطمي الذي يحف به برجان(٢)ومحراب مسجد تينملل (٥٤٨هـ/١١٥٣م)بالمغرب الذي يحف به بابان صغيران (٣)،ثم اقتبس التكوين مع شيء من التحوير في بعض مداخل ومحاريب العمائر الفاطمية ومن

(١) Ministere de la Culture et de l' Information Direction general de l' Information. Mar Behnam, P. 24, Fig. 3

(٢) فكري : مساجد القاهرة ومدارسها، ج١، ص ١٤٣ .

(٣) اعش : المرجع السابق، ص٩ .

امثلة ذلك مدخل مسجد الحاكم ( ٣٨٠ – ٤٠٣هـ/٩٩٠ – ١٠١٢م ) (١) ومدخل مسجد الاقمر (٥١٩هـ/١١٢٥م ( (٢) ومدخل القبة الكائن في الايوان الخارجي لمشهد السيدة رقية ( ٥٢٧هـ/١١٣٢م )(٣) ومحراب مسجد الحاكم (٤) .

وانتقل التكوين المعماري ذاته إلى المداخل الايوبيه بالقاهرة، كما هو الحال في مدخل الركن الشرقي لقاعدة قبة ضريح الامام الشافعي ( ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م ) (٥) ومدخل جدار الشمالي لمشهد الخلفاء العباسيين ( ٦٤٠ هـ/ ١٢٤٢م) (٦) . وامتد إلى العمائر الايوبية في سوريا، كما هو الحال في محراب المدرسة الظاهرية في حلب (٦١٣هـ / ١٢١٦م) (٧) وربما انتقل من سوريا او مصر إلى العراق او انه تأثير محلي حيث وجدت الفكرة نفسها في العراق قبل الاسلام ، كما هو الحال في بعض معابد الحضر التي كانت واجهاتها تتكون من ايوان كبير يحف به اواوين اخرى اصغر منه (٨) .

(١) فكري: المرجع السابق، ج١، ص ١٤٣.

(٢) Rivoira, Moslem Architecture its Origins and Development Edinburgh 1918 P. 179, Fig. 152; Creswell , The Muslim Architecture of Egypt, Vol. 11, P. 82 . (c)

(٣) عبد الوهاب: من روائع الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة، ص ٤٠٤ لوحه ٢٤.

(٤) فكري: المرجع السابق، ج١، ص ٧٣، لوحه ٢١.

(٥) Creswell, OP. Cit., Vol. 11. Pl. 23 (a).

(٦) فكري: المرجع السابق، ج٢، ص ٣٨، لوحه ١٢ .

(٧) Abb (A. N.,) The Ayyubid Domed Buildings of Syria Vol. 3, Fig. 317 .

(٨) سفر ومصطفى: المرجع السابق، صورة رقم ٣٣٤.
تقع الحضر إلى الجنوب الغربي لمدينة الموصل بحدود ١١٠ كم في بادية الجزيرة قريباً من منخفض الثرثار، ولقد نشأت قبل الاسلام كعاصمة لمملكة عربية وكان لها دور حضاري وسياسي إلى أن سقطت على يد الفرس عام (٢٤٠–٢٤١م) واتخذت بعد ذلك قاعدة عسكرية في العهد الاتابكي بالموصل (٥٢١–٦٦٠هـ/ ١١٢٧–١٢٦١م) ولازالت اطلالها ماثلة للعيان.

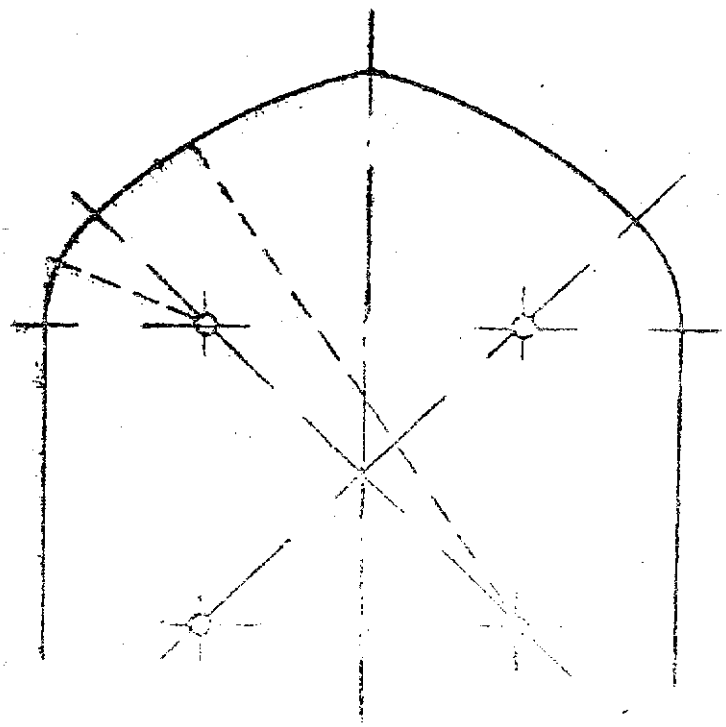

رسم (٥) عقد مدبب ذو اربعة مراكز من باب بغداد بالرقة
(نقلا عن الدكتور فريد شافعي)

وقد حدثت تأثيرات متبادلة بين العراق واقطار المغرب العربي الاسلامي في مجال عنصر معماري هام وهي العقود ولاسيما العقود المدببة ذات المراكز الاربعة والعقود المتقاطعة والمزدوجة والمخصصة والصماء .

فالعقد المدبب ذو المراكز الاربعة بعد من الابتكارات العربية الاسلامية المهمة فقد وجدت اقدم امثلته في باب بغداد في الرقة في حدود سنة (١٥٥ هـ/٧٧١م) (رسم٥) وهو احد ابواب مدينة الرقة وفي باب العامة في قصر الجوسق الخاقاني، كما استخدم في عقود بائكات جامع ابي دلف ثم انتقل إلى عمائر المغرب العربي الاسلامي . وعدم ظهوره فيما بعد في عمائر العهد الفاطمي يوحي بأن انتقاله في مصر لم يأت عن طريق العراق وانما عن طريق المغرب العربي (١) .

وقد وجد العقد المدبب العادي في العراق قبل الاسلام منذ العصر الساساني

(١) شافعي: المرجع السابق ص ٤١٣-٤١٥.

لضرورة معمارية ثم ظهرت امثلته الاولى في العمائر العربية الاسلامية في المسجد الاموي بدمشق (٩٦هـ/٧١٤م) (١) وبعد ذلك استحصل في العراق بقصر الاخيضر (١٦١هـ/٧٧٧م) والجوسق الخاقاني بسامراء (٢٢١هـ/٨٣٥م) ثم شوهد بعد ذلك في المغرب العربي، كما هو الحال في جامع القيروان في نفس السنة. وطالعنا فيما بعد في مقياس الروضة بمصر (٢٤٧هـ/٨٦١م) وفي مسجد احمد بن طولون (٢٦٥هـ/٨٧٨م) وربما كان انتقاله اليها عن طريق العراق (٢).

اما انتقال العقد المدبب إلى اقطار المغرب العربي قبل ظهوره في مصر فيوحي بأنه عن طريق العراق ومن المرجح ان ذلك كان على يد الامراء الاغالبة الذين نقلوا بعض الظواهر الفنية والمعمارية إلى تلك الاقطار ولاسيما تونس بالذات (٣).

وقد تمكن المعماريون العرب المسلمون في تطوير هذا النوع من العقود من مركزين (رسم ٦) والعقد المدبب المكون من اربعة اقواس رسمت من اربعة مراكز كما تقدم. والعقد المدبب الذي يتكون من قوسين رسماً من مركزين، ويمس كل قوس منهما مستقيم يلتقي مع المستقيم الاخر في قمه العقد المدببة ويسمى بالعقد الفاطمي نظراً لكثرة استخدامه في عمائر مصر في العصر الفاطمي. كما ابتكروا نوعاً اخر من هذه العقود وهو العقد الذي يجمع بين العقد المدبب ذي القوسين وشكل حذوة الفرس ووجدت امثلته في جامع القيروان (٢٢١هـ/٨٣٥م) وبعدها في جامع ابن طولون (٢٦٣-٢٦٥هـ/٨٧٦-٨٧٨م) (٤).

اما العقود المتقاطعة فهي الاخرى من المبتكرات في العمارة العربية الاسلامية ظهرت في بداية الامر في المسجد الجامع بقرطبة من عهد الحكم

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٧٣، ٢٠٧.

(٢) فكري: التأثيرات الفنية الاسلامية العربية على الفنون الاوربية، مجلة سومر لمجلد ٢٣، بغداد ١٩٦٧ م. ص ٧٥.

(٣) فكري: مسجد القيروان، ص ١٢٩؛ زبيس المرجع السابق، ص ٥٥٦.

(٤) شافعي: المرجع السابق. ص ٢٠٧.

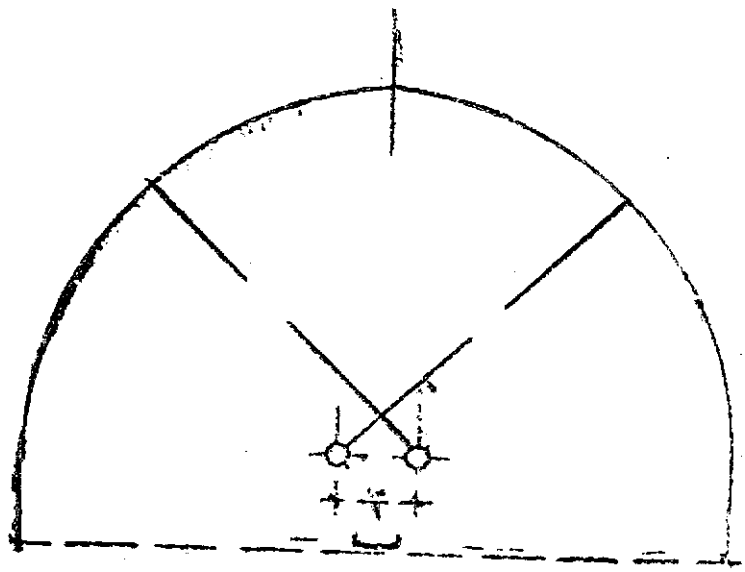

رسم (٦) عقد مدبب ذو مركزين بالمسجد الجامع بدمشق :
(نقلا عن الدكتور فريد شافعي)

المستنصر (رسم٧) لتؤدي وظيفة معمارية وجمالية في آن واحد(١) وتعدته إلى منارة الكتيبة في مراكش لغايات زخرفية (٢) وفي عصر الموحدين زينت الجدران باعمدة صغيرة تعلوها اقواس متقاطعة ، كما ان بني

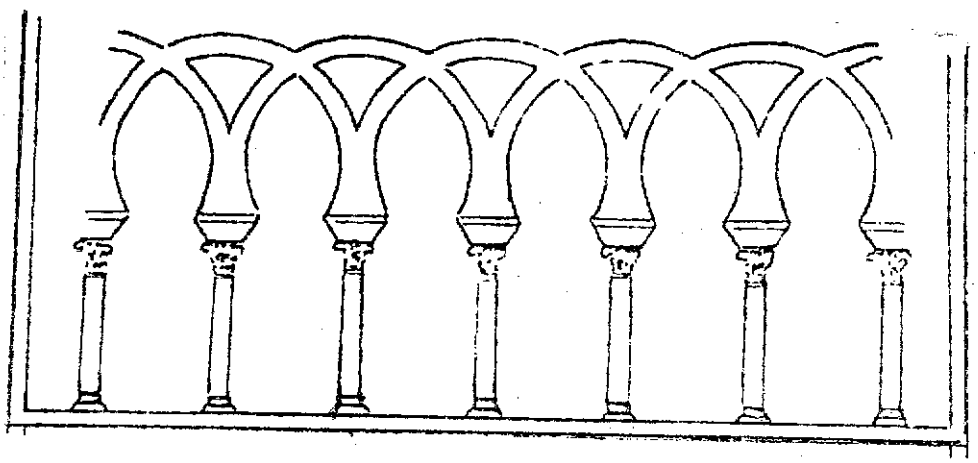

رسم (٧) عقود متقاطعة بالمسجد الجامع بقرطبة
(نقلا عن جوميث)

---

(١) جوميث : المرجع السابق، ص ١٢٠ .
(٢) الدكتور حماد شهاب : الطرز المعماريه واصولها، ص ٢٧، شكل ٤٣.

الاحمر في غرناطة اتخذوها في زخارفهم الجصية التي تميزت بصغر الحجم ودقة التنفيذ .

وطالعتنا الاقواس المتقاطعة لاغراض زخرفية في الموصل منذ العهد الايلخاني ، فقد وجدناها تعلو المقرنصات المزينة لمشكاة شاهد الصندوق الرخامي لقبر مزار الامام علي الهادي (رسم٨). ولاندري هل ان الاقواس

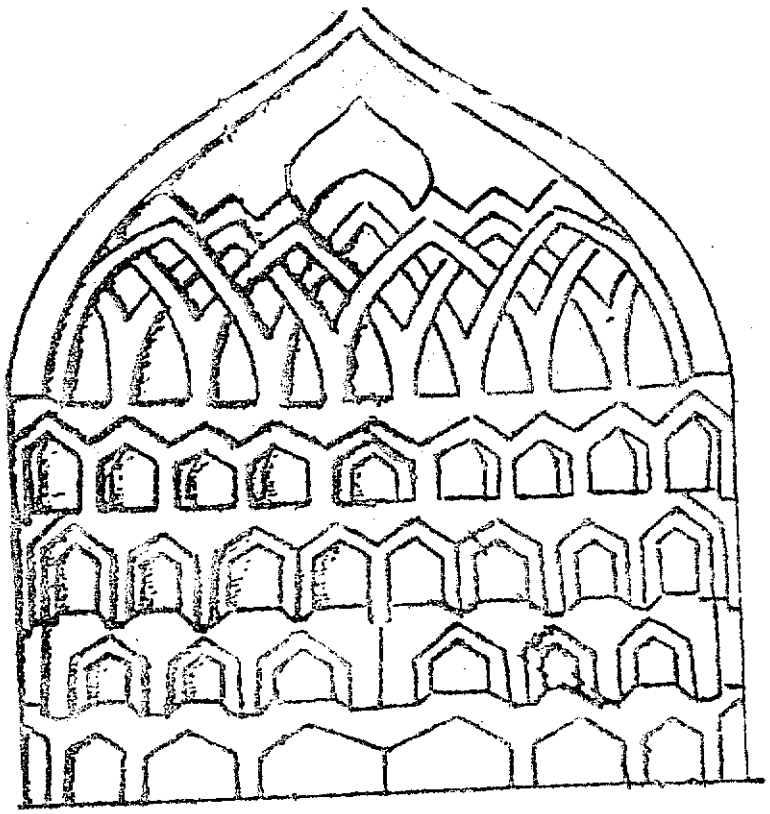

رسم (٨) عقود متقاطعة بشاهد قبر مزار الامام علي الهادى بالموصل.
(تخطيط الدكتور احمد قاسم الجمعه)

المذكورة اشتقت من تشريكات الخطوط الهندسية التي اشتهرت بها الموصل ولاسيما في العهد الاتابكي ( ٥٢١ — ٦٦٠هـ/١١٢٧—١٢٦١م ) (٢) ام ترجع باصولها إلى تأثيرات واحدة من المغرب العربي.

---

(١) الدكتور نادر العطار : العماره الاندلسيه في عصر الموحدين ، مجلة الحوليات الاثريه السوريه ١٠٣ لسنة ١٩٦٠م ص ٦٥.

(٢) احمد قاسم الجمعه : محاريب مساجد الموصل إلى نهاية حكم الاتابكة سنة ٦٦٠هـ/ رسالة ماجستير ( غير منشورة) قدمت إلى جامعة القاهرة ١٩٧١م ص ٢٣٣.

وبالنسبة للعقود المفصصة التي تعتمد على التدوير والانحناء فعلى الرغم من وجودها في الفنون السابقة للاسلام كالفن الهندسي(١) والفن الساساني (رسم٩) (٢) ، الا انها كانت تؤدي غرضاً زخرفياً وتمكن العرب والمسلمون

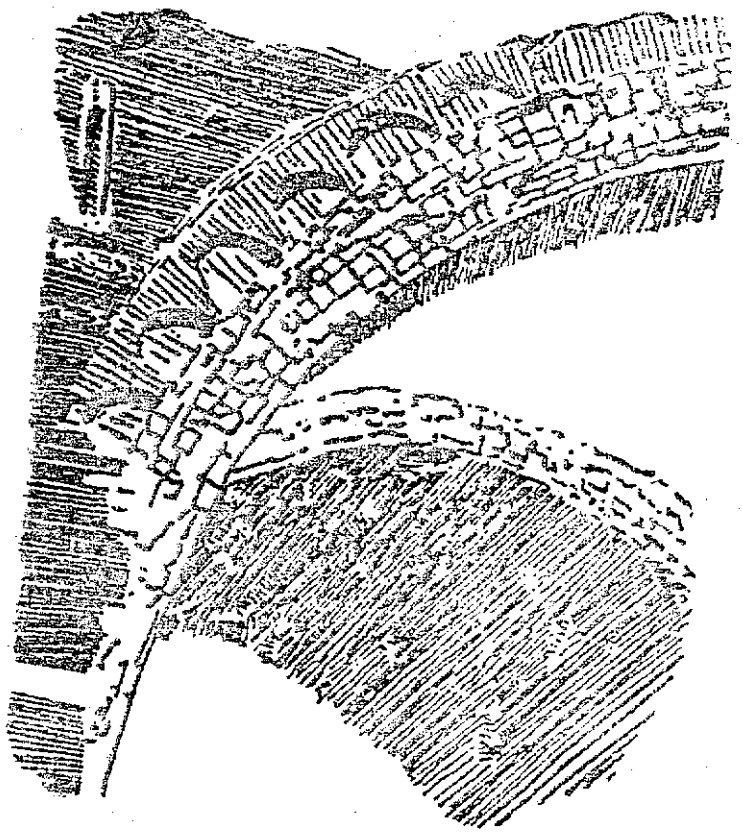

رسم (٩) عقد مفصص بطاق كسرى في طيسفون بالعراق
(نقلا عن الدكتور فريد شافعي)

من تطويره واستخدامه في الاغراض المعمارية والاغراض الزخرفية في آن واحد .

وعلى الاغلب فان فكرة العقود المفصصة في العمارة العربية الاسلامية تأثرت بفكرة الفصوص التي كانت تحلي عقد طاق كسرى في طيسفون

(١) Havell (E. B), Indian Architecture, 2nd, Ed., London 1927 P. 82-86 .

(٢) Ghirshman (R.), Iran Parthians and Sassanian, Thams and Hudson, France 1962, Fig. 375 .

بالعراق من العهد الساساني حيث وجدت الامثلة الاولى لهذه العقود في العصر العباسي المبكر في الشبابيك الوهمية المزينة لواجهة باب بغداد في مدينة الرقة (١٥٥هـ/٧٧١م) (١) وتلتها عقود اخرى وجامع سامراء (٢٣٤–٢٣٧هـ/ ٨٤٨–٨٥٠م) (٢) وقصر العاشق قرب سامراء (٢٦٤هـ/٨٧٨م) (٣).

وقد انتقلت من العراق إلى مصر حيث وجدت في حشوات زخرفية في مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط ترجع إلى اعمال الوالي عبد الله بن طاهر (٢١٢هـ/٨٢٧م) ثم تعدتها الى جامع ابن طولون حوالي (٢٦٥هـ/٨٧٩م)(٤).

اما ظهورها في المغرب العربي فكان بواجهة الطاقة الركنية في قبة المسجد الجامع بالقيروان (٢٢١هـ/٨٣٥م) (٥) وربما انتقلت مباشرة من العراق بفعل التأثيرات العراقية التي نقلها الامراء الاغالبة إلى تونس، كما وجدت في حشوات منبر القيروان (٢٤٢ – ٢٤٩هـ/٨٥٦ – ٨٦٣م) (٦) الذي تم صنعه في العراق (٧). ثم دخل التكوين نفسه إلى الاندلس كما يلاحظ في العقد الذي يعلو المحراب في المسجد الجامع بقرطبة (رسم ١٠) (٨).

والجدير بالتنويه أن العرب المسلمين تمكنوا من ابتكار نوع آخر من العقود المفصصة تعتمد فصوصها على التدوير والانكسار الذي ظهر في مصر منذ العهد الفاطمي كما في منارة مسجد الحاكم (٣٨٠ – ٤٠٣هـ/٩٩٠ – ١٠١٢م) واحد

---

(١) شافعي: المرجع السابق، ص ٢٠٩.
(٢) جوميث: المرجع السابق، ص ١١٦؛ شافعي: المرجع السابق، ص ٢٠٩.
(٣) فكري: التأثيرات الفنية الاسلامية العربية على الفنون الاوربية، ص ٧٣.
(٤) جوميث: المرجع السابق، ص ١١٦.
(٥) فكري: المرجع السابق، ص ٧٣.
(٦) جوميث: المرجع السابق، ص ١١٦.
(٧) شافعي: الاخشاب المزخرفة في الطراز الاموي، ص ٧٥.
(٨) جوميث: المرجع السابق، ص ١١٦، شكل ١٣٦.

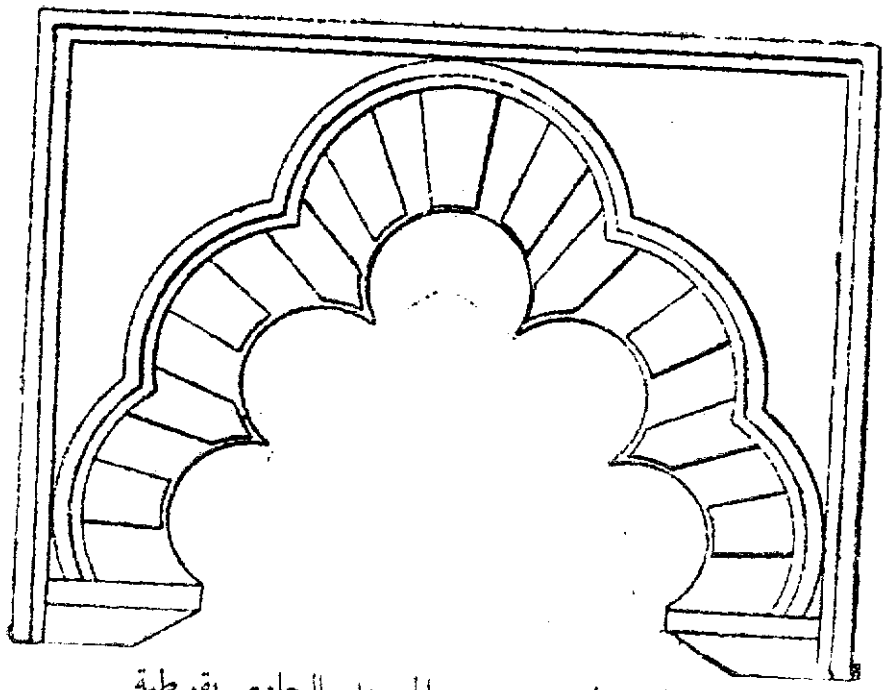

رسم(١٠) عقد مفصص من المسجد الجامع بقرطبة
(نقلا عن جوميث )

محاريب الجامع الطولوني ( نهاية العهد الفاطمي )(١).

ومن المرجع أن تصميم هذه العقود انتقل من مصر إلى العراق ومن امثلة ذلك عقد محراب عمارة الأربعين في تكريت ( من نهاية القرن الخامس ) (٢) كما امتدت إلى أقطار المغرب العربي مثلما وجد في قلعة بني حماد بالجزائر (٥٥هـ/١١م ) (٣).

اما العقو د الصماء التي تتخلل المشكاوات في محراب عمارة الأربعين في تكريت والتي تجلت باجلى مظاهرها في اطر بعض المداخل والمحاريب في الموصل في العهد الاتابكي ، مثلما وجد في محراب الجامع النوري من القرن

---

(١) Shafiei (F.) An Early Fatimid in the Mosque of IbnTulun, Bulletin of the Faculty Arts , Vol. xv- art I, May 1953, PP. 75, 81, Fig. 16, 01. 1,

(٢) Shafiei, OP. Cit., P. 73 .

(٣) Marcais (G.) Manuel D'Art Muslman I' Architecture, Paris 1920 PP. 155, 368, Fig. 80 , 199B .

(٧هـ/١٣م )(١) ومدخل حضرة مزار الامام عون الدين ( ٦٤٦هـ/١٢٤٨م ) (رسم ١١)(٢) فهي من الابتكارات العربية الاسلامية في المغرب العربي. حيث ظهرت لاول مرة في المسجد الجامع بقرطبة (٣٥٤هـ/٩٦٥م) وعلى واجهة مسجد تطيلة (٣٦٩هـ/٩٧٩م) (٣) وانتشر استعمالها في مآذن الأندلس والمغرب ، ثم تاثرت بها اقطار المشرق العربي ومنها العراق.

ولابد لنا ونحن في سبيل التعرض للعقود أن نشير إلى ابتكار عربي اسلامي في هذا المجال وهو ظاهرة تشكيل العقود من صنجة من الحجر تليها مجموعة من الحجارة الملونة أو قوالب الأجر بالتبادل . فقد وجدت الأمثلة الصريحة لذلك في جامع قرطبة الذي شيده عبد الرحمن الداخل سنة ( ١٧٠هـ / ٧٨٦ م ) ثم انتشرت الظاهرة بعد ذلك في بناء الجدران وسميت عند العرب ( الابلق) حيث كان يستخدم الحجر الفاتح اللون في المدماك الأول والحجر الداكن أو البازلت في المدماك الثاني بالتبادل ،وشاع هذا الاسلوب في العمارة العربية في الشام نظراً لتوفر الحجر الجيري وحجر البازلت (٤)، كما شاع في عمائر مصر منذ العصر الأيوبي (٥) لنفس السبب .

وربما انتقلت نفس الفكرة من مصر أو الشام إلى العراق وبالموصل بالذات منذ العصر الاتابكي ، كما يلاحظ ذلك في العتبات العليا لبعض المداخل فقد كانت تزخرف صنجة ثم تترك التي تليها صماء خالية من الزخرفة وهكذا بالتبادل ، كما هو الحال في مدخل حضرة مزار الامام عون الدين (٦٤٦هـ/١٢٤٨م)

---

(١) الجمعة: المرجع السابق، ص ٢٨٨، صورة ٧٤

(٢) الجمعة: المرجع السابق، ص ٤٥٠.

(٣) فكري: المرجع السابق، ص ٧٥.

(٤) شافعي: العمارة العربية في مصر الاسلامية ص ٢١١.

(٥) فكري: مساجد القاهرة ومدارسها، مصر ١٩٦٩. ج٢ لوحة ٢٥-٢٧.

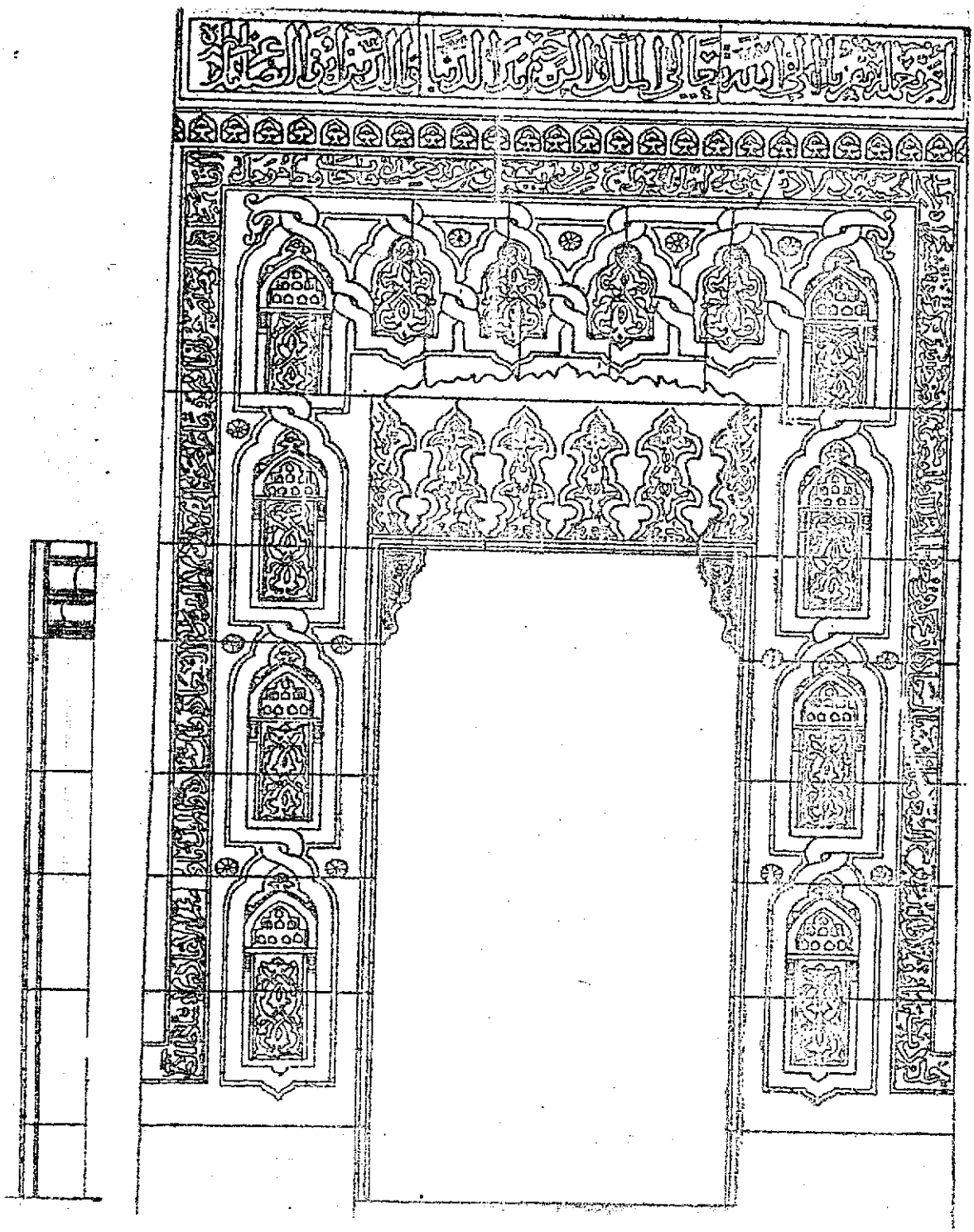

رسم (١١) مدخل حضرة مزار الامام عون الدين بالموصل
(تخطيط الدكتور أحمد قاسم الجمعة)

( الرسم السابـــق) ومدخـــل جامع الامـام الباهر المماثل لـه في الموصل . وندرة الأحجار الملونة في الموصل كانت السبب في لجوء الفنان إلى ذلك (١) .

وبالاضافة لما تقدم نجد أن التأثير الفني والمعماري المتبادل بين العراق واقطار المغرب العربي تناول مجالاً آخر من العناصر المعمارية وهي الدعائم واعمدة المزدوجة فالدعائم المحاطة بأعمدة مثمنة صغيرة الحجم تحمل العقود في المسجد الجامع بقرطبة من عهد الخليفة المستنصر (٢) تماثل من حيث الشكل والفكرة والدعائم التي ظهرت في العراق منذ العصر العباسي ،وهي تعد من الابتكارات المهمة لدى العرب المسلمين في مجال الفنون والعمارة . فقد وجدت

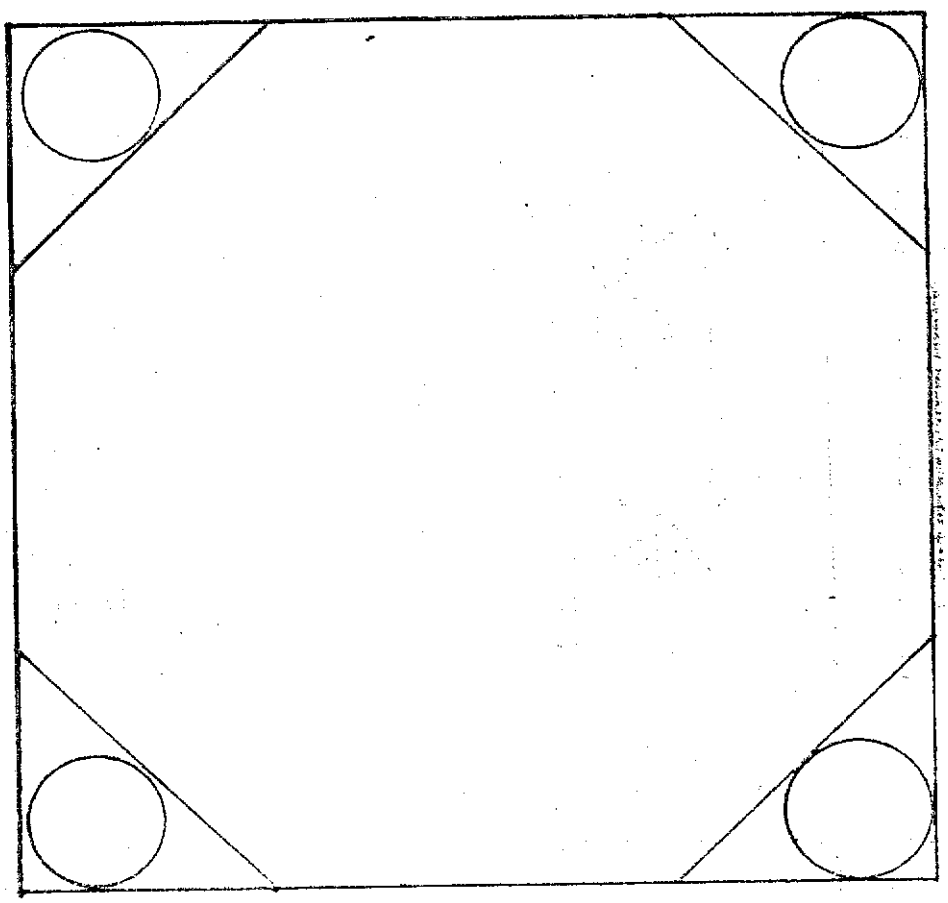

رسم (١٢) دعامة بالمسجد الجامع في سامراء
( نقلاً عن ربيع القيسي)

(١ ) الجمعة : المرجع السابق، ص ٤٥٢.
(٢ ) جوديث : المرجع السابق، ص ١٠٩.

في الجامع الكبير في سامراء اعمدة ثمانيـة تحف بهـا اسطوانيـة أخرى اصغر منهـا (١) (رسم ١٢) وتعـد مـن أول الأمثلـة على هـذا النوع من الاعمـدة ، ثم وجدت بعد ذلك في جامع ابي دلف على هيئة دعائم مستطيلة يوجد في كل ركن من اركانها عمود رشيق اسطواني الهيئة. وأنتقل تأثيرها الى مصر منذ العصر الطولوني . ومن امثلة ذلك دعائم الجامع الطولوني (رسم ١٣) المشابهة لدعائم جامع ابي دلف (٢) وامتدت

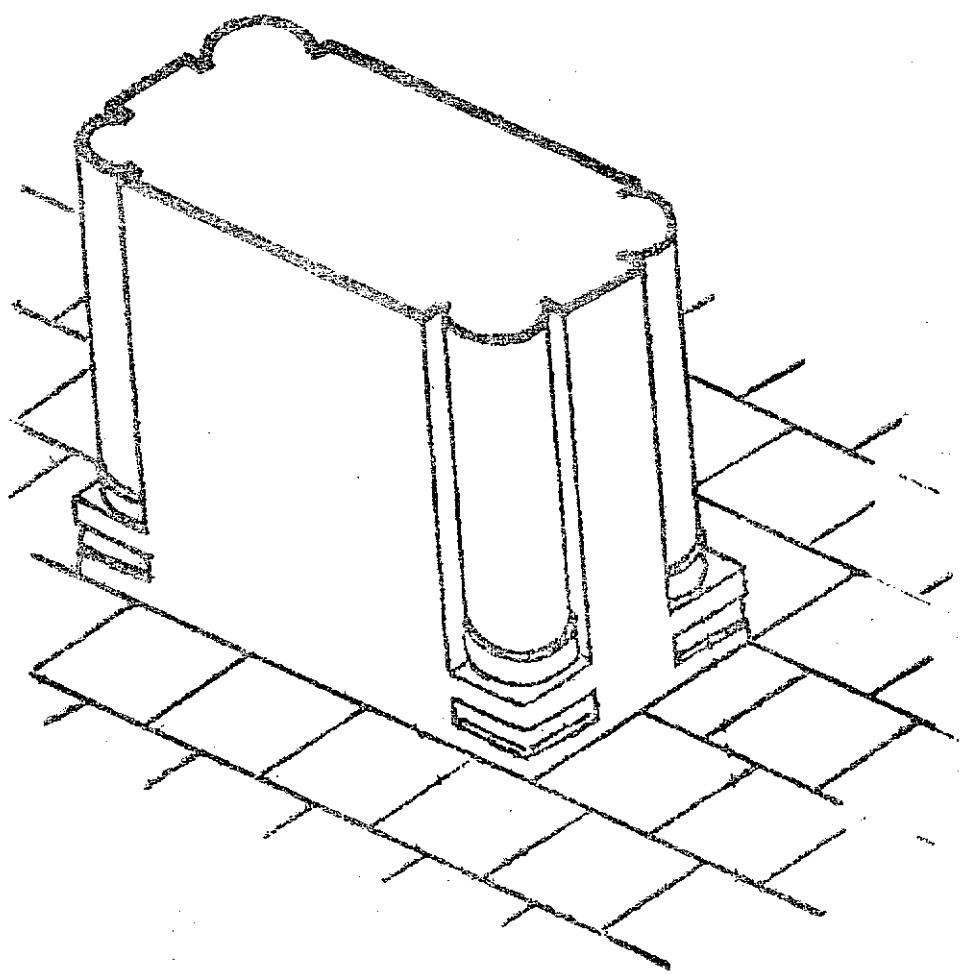

رسم (١٣) دعامة بجامع ابن طولون في القاهرة
(نقلاً عن الدكتور فريد شافعي)

(١) ربيع القيسي: جامع الجمعة في سامراء تخطيطه وصيانته، مجلة سومر، حـ١، م٢٥ لـ ١٩٦٩، ص ١٤٨، مخطط رقم ٢.

(٢) شافعي: المرجع السابق، ص ٤٠٣، شكل ٢٣٤و٢٣٥.

الى العهد الاخشيدي حيث وجدت في مشهد آل طباطبا بالقرافة الصغرى بالقاهرة (١) وتعدتها الى العهد الفاطمي حيث وجدت في جامع الحاكم (٢) ومن المرجح ان الاعمدة المماثلة التي نوهنا عنها في المسجد الجامع بقرطبة أنتقلت الى الاندلس عن طريق مصر لان ظهورها في هذا الجامع كان بعد أنتقالها من العراق الى مصر ، وربما كان تأثير ذلك بفضل الحجاج الذين كانوا يفدون من اقطار المغرب العربي الى الحجاز مارين ذهاباً وأياباً .

اما الاعمدة المزدوجة فكان معظم استخدامها في الفنون القديمة للاغراض الزخرفية (٣) وأنتقلت الى الفن الاسلامي ، ومن اقدم امثلتها التي استعملت كغرض معماري هي الاعمدة المزدوجة والثلاثية الملصقة في باب بغداد بالرقة (١٥٥هـ/ ٧٧١م) (٤) كما وجدت اعمدة ثنائية الازدواج في محراب الجوسق الخاقاني بسامراء (٢٢١هـ/٨٣٥م) (٥) . وأنتقلت من العراق الى مصر ومن امثلتها الاعمدة الثلاثية الملصقة لحنيات جامع عمرو بن العاص (٦) ، ثم طالعتنا بعد ذلك في جامع القيروان »(٢٢١هـ/٨٣٥م) (٧) من عهد زيارة الله الاغلبي .

ويجب التنويه بوجود نوع خاص من الاعمدة في الجامع النوري بالموصل تنسب الى القرن (٤ أو٥)هـ (٨) يتكون بدن كل منها من اربعة أنصاف اعمدة

---

(١ ) عبد الوهاب : مسيزات العمارد الاسلامية في مصر ، ص ١٧٧.

(٢ ) عبد الوهاب : تاريخ المساجد الاثرية، القاهرة ١٩٤٦م، ج١، ص ٣٥.

(٣ ) شافعي : المرجع السابق، ص ١٧٦، شكل ١١٥؛ محمد وهبة : الزخرفة التاريخية ، القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢ م ص ٣٥.

(٤ ) شافعي : المرجع السابق، ص ٣٨٢.

(٥ ) المرجع نفسه، ص ٦١٥-٦١٧، شكل ٤١٢.

(٦ ) المرجع نفسه، ص ٣٨٢، شكل ٢١١-٢١٤.

(٧ ) فكري : مسجد القيروان، ص ٦٧، شكل ١١.

(٨ ) الجسعة : المرجع السابق، ص ٦٨٦.

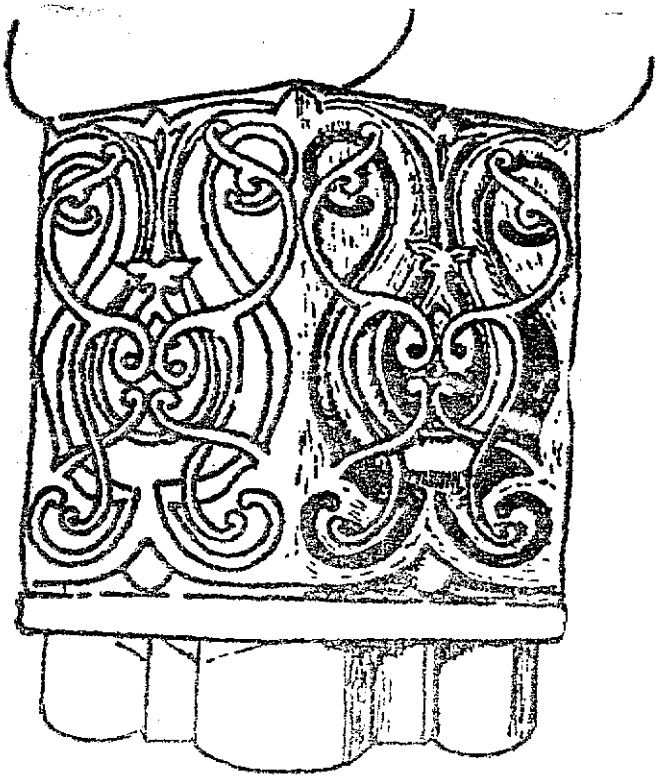

رسم (١٤) عمود ركني بالجامع الكبير ( النوري ) بالموصل
( تخطيط الدكتور أحمد قاسم الجمعة )

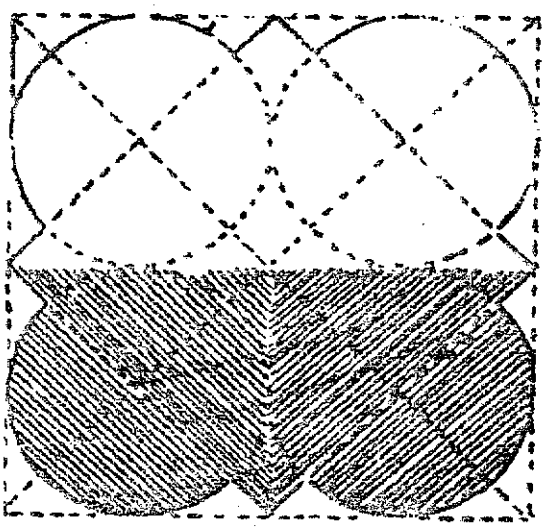

رسم (١٥) الاساس الهندسي للعمود السابق
( تخطيط الدكتور احمد قاسم الجمعة )

اسطوانية ركينة تفصل أفيما بينها الاخاديد الغائرة و البروزات الرمحية المدببة احياناً (١) .

اما التيجان الكأسية للاعمدة التي اشتهرت بها اقطار المشرق العربي الاسلامي فقد تطورت التيجان الكورنثية التي وجدت في بعض الطرز الفنية القديمة كالاغريقية والرومانية والبيزنطية .

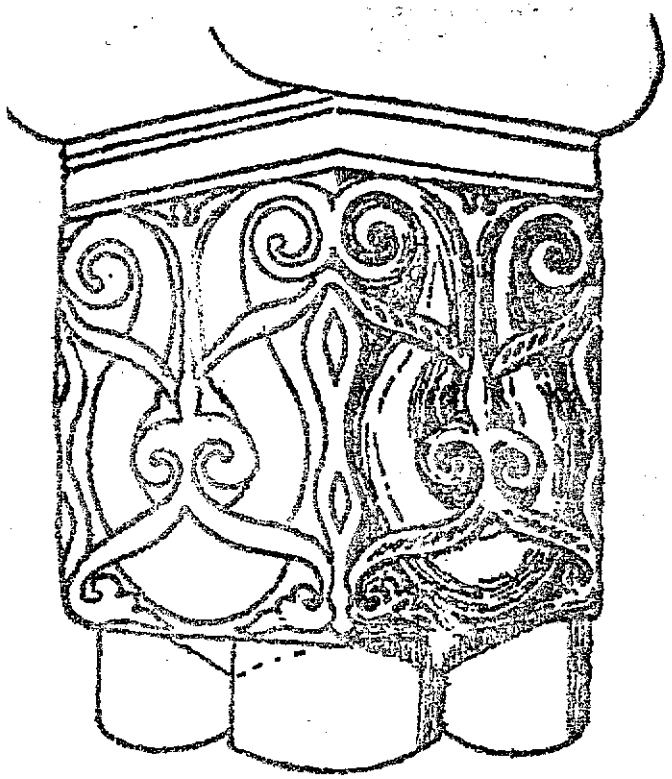

رسم (١٦) عمود ركني بالجامع الكبير (النوري) بالموصل
(تخطيط الدكتور احمد قاسم الجمعة)

واقدم امثلتها الصريحة والواضحة وجدت في سامراء (رسم ١٨) ولا سيما الجوسق الخاقاني بسامراء (٢٢١هـ/٨٣٥م) (رسم ١٩) (٢) و ربما كانت بعض التيجان الشبيهة بالكأسية التي ظهرت في العصر الاموي في الشام مرحلة

(١) انظر الرسوم: ١٤—١٧ .
(٢) شافعي: المرجع السابق، ص ٤١١.

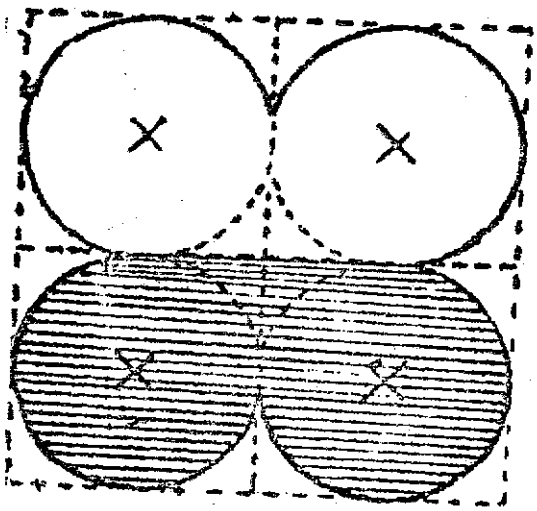

رسم (١٧) الاساس الهندسي للعمود السابق
( تخطيط الدكتور أحمد قاسم الجمعة )

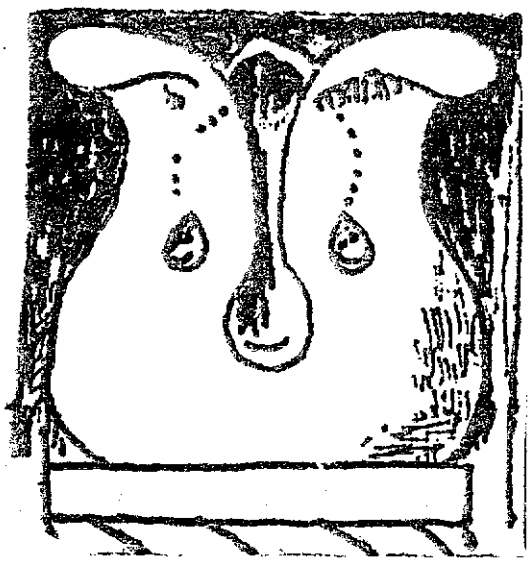

رسم (١٨) تاج عمود من سامراء
(نقلاً عن الدكتور فريد شافعي )

تمهيدية لهذه التيجان (رسم ٢٠) (١) وأنتقلت الى مصر . ومن اقدم امثلتها شاهد قبر مؤرخ في سنة (٢٤٥هـ / ٨٥٩م ) (٢) .

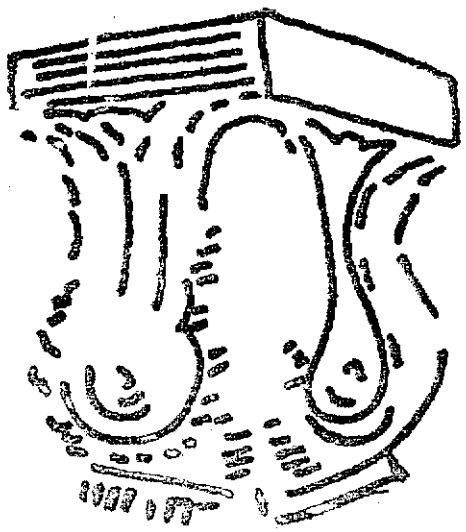

رسم (١٩) تاج عمود بالجوسق الخاقاني بسامراء
( نقلاً عن Creswell )

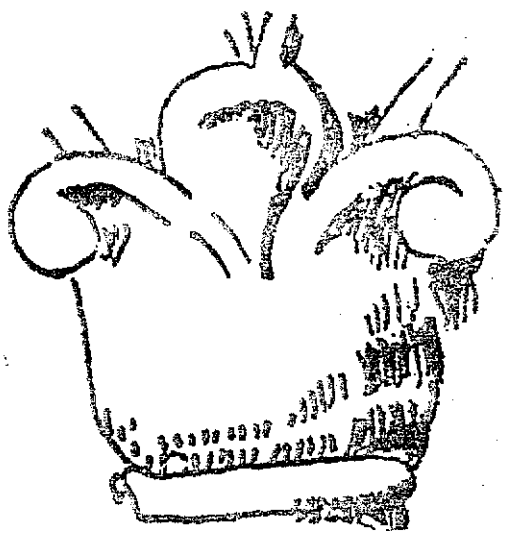

رسم (٢٠) تاج عمود من خربة المفجر بالشام
(نقلاً عن الدكتور فريدشافعي )

(١) شافعي، الاخشاب المزخرفه في الطراز الاموي، ص ٨١و٩٣.
(٢) شافعي: العماره العربية في مصر الاسلامية، ص ٤١١

وعلى الرغم من ندرة هذه التيجان في المغرب العربي ، ألا انها وجدت في اعمدة طاقات جامع القيروان (١) (رسم ٢١) .

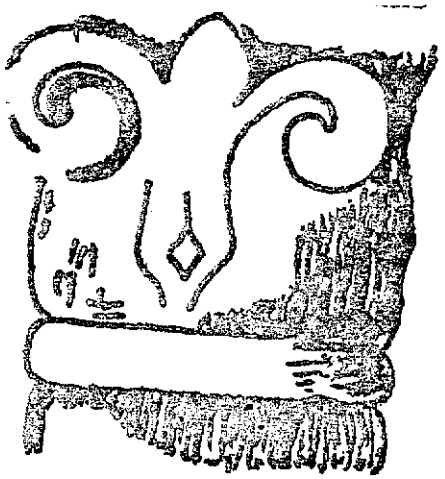

رسم (٢١) تاج عمود بجامع القيروان . (نقلاً عن Creswell)

ومن المرجح ان انتقال الاعمدة المزدوجة وكذلك التيجان الكأسية الى الجامع المذكور كان على يد الامراء الاغالبة الذين نقلوا بعض العناصر والمظاهر الفنية من العراق الى ربوع تونس كما اسلفنا .

وهناك ظاهرة معمارية اخرى ظهرت في العراق خلال العصر الاسلامي ثم امتد تأثيرها الى المغرب العربي ، هي ظاهرة المقرنصات الركنية التي تحول المبنى المربع الى مثمن او الى دائري للتوفيق بينه وبين القبة الدائرية التي تقوم فوقه . وقد استمدت هذه الفكرة من الحنيات التي وجدت في الطرز السابقة للاسلام إذ وجد اول امثلتها في بعض القصور الساسانية التي تعود الى القرنين الثالث والخامس للميلاد (٢) في حين ظهرت لاول مرة في العصر الاسلامي في قصر الاخيضر حوالي (١٦١هـ/ ٧٧٧م) بالعراق (رسم ٢٢) الا ان هذه المقرنصات متأثرة بالامثلة الساسانية ، ثم تلتها مقرنصات باب العامة في قصر

(١) Greswell, The Muslim Architecture of Egypt, Oxford 1959, vol. *II* Fig.237.

(٢) شافعي : العمارة العربية في مصر الاسلامية ص ٤١١-٤١٣ .

الجوسق الخاقاني التي اتخذت هيئة عربية اسلامية خالصة من ناحية تجويفها نصف المستدير وطاقتيها التي اتخذت شكل نصف قبة مدببة (١) .

رسم (٢٢) مقرنصة ركنية في مسجد قصر الاخيضر بالعراق
( نقلاً عن الدكتور فريد شافعي )

والجدير بالذكر ان الظاهرة المذكورة لم تظهر في عمائر العصر الطولوني وانما ظهرت منذ العصر الفاطمي في مصر ، إذ وجدت في رواق القبلة في جامع الازهر وجامع الحاكم وجامع الجيوشي(٢) كما ان الامثلة التالية في التاريخ للنماذج العراقية وجدت في قبة جامع القيروان (٢٤٨هـ/٨٦٢م) (رسم ٢٣)، مما يبعث على الظن انها انتقلت الى مصر عن طريق المغرب العربي(٣) كما انه من المرجح ان الطاقات المحارية التي وجدت في اركان قبة جامع

(١) شافعي: المرجع السابق ص ٤١٣ .
(٢) سامح: العمارة الاسلامية في مصر، ص ١٧٨.
(٣) شافعي/ المرجع السابق ، ص ٤١٥.

القيروان (٢٤٨هـ/٨٦٢م)(١) قد كانت من جملة التأثيرات الفنية والمعمارية العراقية التي نقلها الاغالبة الى ربوع تونس ، ثم شملت بعد ذلك عقود بعض المحاريب في العمائر الدينية المنسوبة الى القرن (٣هـ/٩م) مثل محراب دار شعبان قرب نايل ومحراب مسجد الدز بالمنستير (٢) .

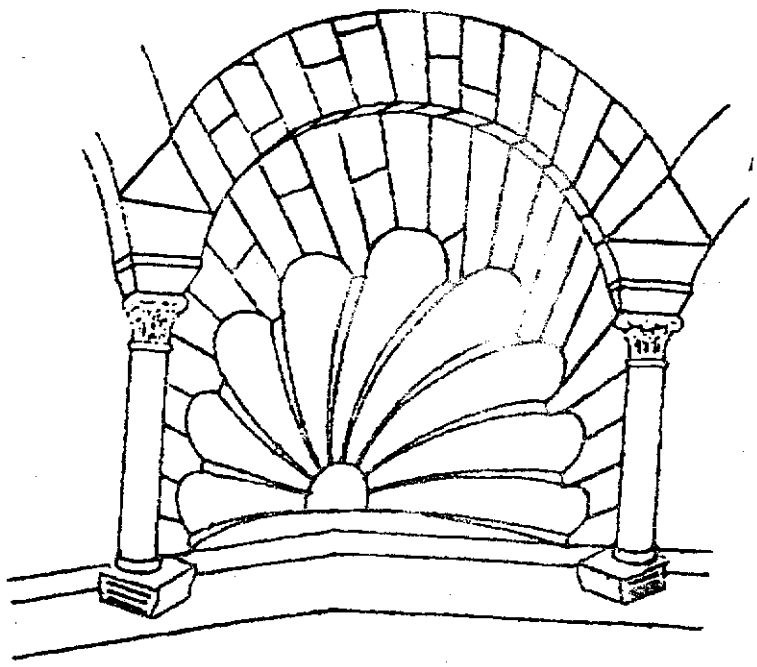

رسم (٢٣) مقرنصة ركنية بالقبة التي تعلو محراب المسجد الجامع بالقيروان
(نقلاً عن الدكتور احمد فكرى)

كذلك فان المنحنيات والتعرجات البارزة الموجودة على العتبة العليا ( الاسكفة) لمدخل بيت الشهداء الشمالي في كنيسة مار اشعيا ( من العهد الايلخاني) بالموصل (رسم٢٤) تذكرنا بأشكال المعينات المتراصة التي شاعت في الطراز المغربي الأندلسي على جوانب المنائر : كمئذنة الزيتونة في تونس ومئذنة تلمسان بالجزائر ومئذنة الكتيبة بمراكش ومئذنة الجيرالد في اشبيلية (٣).وربما حدثت تأثيرات متبادلة بين أقطار المغرب العربي والعراق في هذا المجال .

(١) فكري : المرجع السابق، ص ٩٢، شكل ٣٦؛ شافعي: المرجع السابق، ص ٤١٢-٤١٣، شكل ٢٤٢.
(٢) زبيس: المرجع السابق، ص ٥٥٧، ٥٦٤، شكل ٦و٦ م.
(٣) الجمعة : المرجع السابق، ص ١١٥.

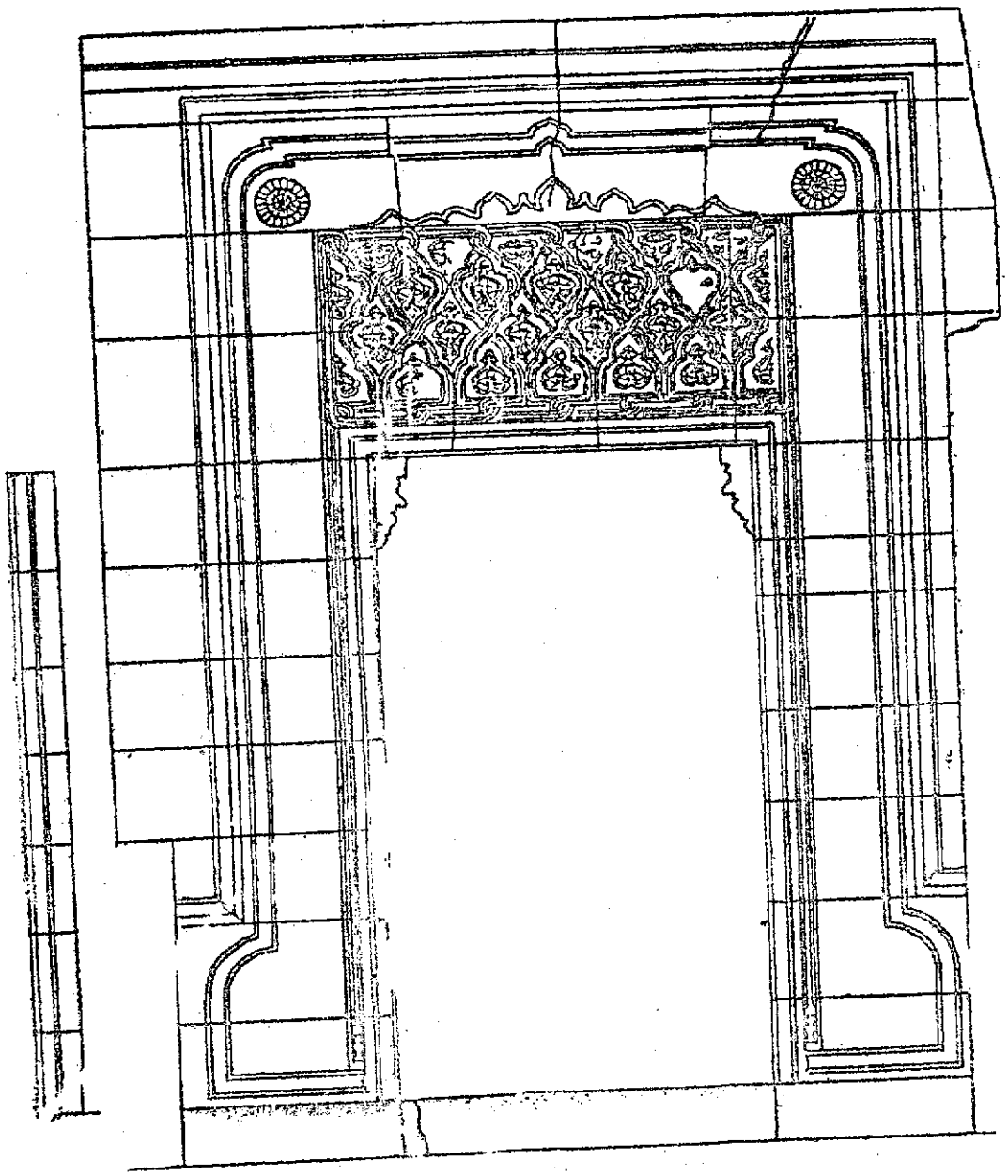

رسم (٢٤) مدخل بيت الشهداء بكنيسة ماراشعيا بالموصل
(تخطيط الدكتور أحمد قاسم الجمعة)

ومن المرجح أن نظام المحارس الذي ظهر في المشرق العربي الاسلامي منذ أيام الرشيد أو قبل ذلك امتد تأثيره إلى أقطار المغرب العربي (١) على يد ابراهيم بن أحمد بن الأغلب سنة (٢٦١هـ/٨٧٤م) (مؤسس دولة بني أغلب في تونس (٢).

(١) شافعي: المرجع السابق، ص ٥٣١.
(٢) عبد الوهاب: الاثار الفاطمية بين تونس والقاهرة، ص ٢٥٩ و ٥٦٠.

والمحارس هي نقاط حربية أوحصون يقيم فيها الجند بغية الدفاع عند الضرورة وكذلك تزود بأبراج أو منارات عالية على مسافات تسمح أن يرى الواحد منها الآخر ويمكن ارسال اشارات الانذار للعدو بواسطة النار أو الدخان وتصبح هذه المحارس كلها متصلة فيما بينها وبالحصون الرئيسية وبتجمعات الجيوش داخل البلاد(١).

ويظهر أن ظاهرة اكساء المحاريب المغربية الأندلسية بالجص المنقوش كما نلاحظ في محراب جامع بلاد الحضر بتوروز في تونس(٥٩٠هـ/١١٩٤م) (٢) قد تأثرت بنفس الظاهرة التي وجدت في العراق منذ القرن (٣هـ/٩م). ومن أقدم الأمثلة لذلك محراب جامع ابي دلف بسامراء(٢٢١-٢٧٩هـ/٨٣٥ - ٨٩٢م)(٣).

وربما انتقلت هذه الظاهرة إلى سامراء عن طريق الفن الساساني . فمن المعروف أن طلاء الجدران بالجص المزخرف بالزخارف المختلفة يعد من الأساليب الهامة التي برع فيها الساسانيون (٤) .

كما ان طريقة اكساء بعض المحاريب في أقطار المغرب العربي كمحراب جامع القيروان (٢٢١هـ/٨٣٥م)(٥) بلوحات من الرخام المنقوش قد جاءت من العراق على أغلب الظن ومن الموصل بالذات ،إذ اشتهرت منطقة الموصل وماجاورها بصناعة الرخام (٦) قديماً ولا سيما في العهد الأشوري حيث استخدم الرخام

(١) شافعي: المرجع السابق، ص ٥٣١.
(٢) زبيس: المرجع السابق، ص ٥٥٩ و ٥٦٠.
(٣) نجاة يونس: المحاريب العراقية، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد ١٩٦٩م، ص٧١ .
(٤) شافعي: المرجع السابق، ص ١٨١.
(٥) فكري: المرجع السابق، ص ١٢٩.
(٦) يقصد بالرخام الصخر المتحول الناتج من بعض الصخور الجيرية( اللايمستون) بفعل الضغط والحرارة واغلب المعادن المكونة لهذه الصخور هي الكالسايت( كاربونات الكالسيوم) والدولومايت ( كاربونات الكالسيوم والمغنسيوم المزدوجة ) . ورخام الموصل الذي يدعى محلياً بـ( الغش او المرمر) فهو من مادة الجبس اي (كبريتات الكالسيوم المائية)، وبهذا اصبح رخام الموصل يعني دلالات تجارية اكثر مما هي جيولوجية لان تركيبه الكيمياوي- يختلف عن التركيب الكيمياوي للرخام الحقيقي وان جاز لنا ان نطلق عليه اسم الرخام فالاصح ان نسميه بـ( الرخام الموصلي).وقد اطلق البعض على مثل هذا الرخام اسم ( الرخام الجصي) لكي يمكن التفريق بينه وبين مفهوم الرخام الحقيقي من الوجهة الجيولوجية.( الجمعة: الاثار الرخامية في الموصل، ص ١٨-٢٢) .

في عمل التماثيل والمنحوتات والافاريز الجدارية وذلك لكثرة تواجده ومطاوعته للعمل.

وفي العصر الاسلامي حافظت مدينة الموصل على هذه الصناعة واستعمل الرخام في زخرفة وتلبيس المباني وعناصرها منذ النصف الأول من القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي ،كما هو الحال في قصر المنقوشة(١) وبلغت أوج تطورها في العهد الاتابكي كما يلاحظ في افريز جامع الامام محسن ( ٥٨٩-٦٠٧هـ/١١٩٣-١٢١٠م ) (٢) (رسم ٢٥) .

وقد رجح الأُستاذ زبيس في معرض كلامه عن طريق تلبيس المحاريب التونسية بالرخام انها دخلت إلى تونس على يد العوائل الموصلية التي جلبها إلى ربوع تونس الوالي الأموي عبيد الله بن الحبحاب ، أو في عهد العباسيين على يد ولاتهم من الأغالبة (٣) .

وكما تأثرت بعض العناصر المعمارية في أقطار المغرب العربي بظاهرة الاكساء بالجص والرخام الوافدة من العراق فقد تأثرت بظاهرة فنية أُخرى على نفس الطريق هي ظاهرة التزجيج والكساء بالقاشاني .

وقد ظهرت بوادر هذه الظاهرة في العصر الاسلامي في بداية الأمر في مدينة سامراء (٤) وامتد تأثيرها إلى المغرب العربي حيث تمثلت لأول مرة في محراب الجامع الكبير بالقيروان .

من عهد الامير أبو ابراهيم أحمد الأغلبي فقد مر بنا ان صانعاً عراقياً ادخلها إلى هذا المحراب (٥) ، وربما هو اسماعيل بن يوسف النحوي المعروف

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ، القاهرة ١٢٩٠هـ، جـ٥، ص ٤٩و٥٠ .

(٢) الجمعة : المرجع السابق، ص ٧٨٦، رسم ٣٧ .

(٣) زبيس : المرجع السابق، ص ٥٥٥.

(٤) مارسيه : المرجع السابق، ص ٦٧ .

(٥) فكري : المرجع السابق، ص ١٢٩.

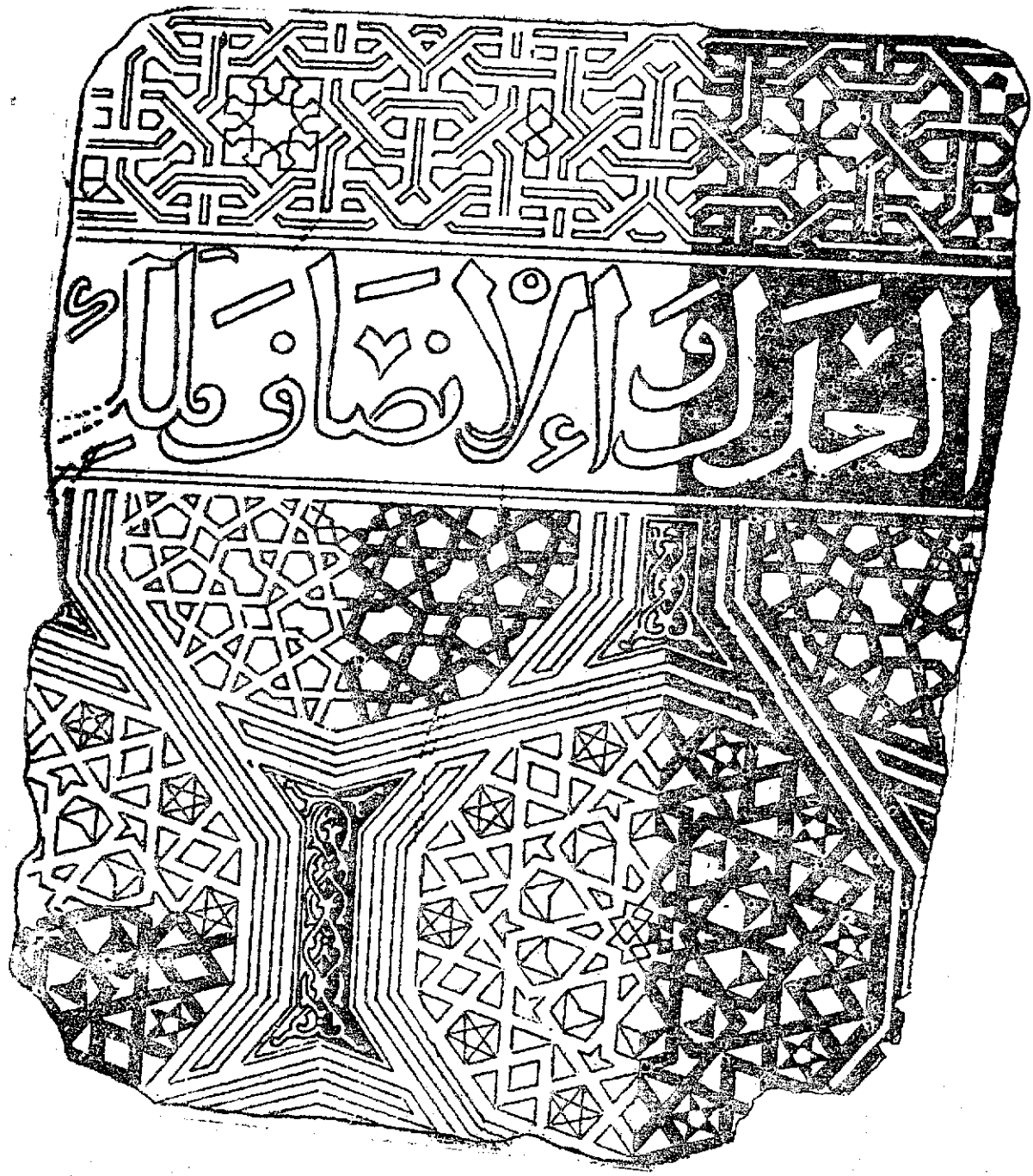

رسم (٢٥) افريز من الرخام الأزرق ملبس بالرخام الأبيض بجامع الامام محسن بالموصل .
( تخطيط الدكتور أحمد قاسم الجمعة )

بالطلاء (١) ، ثم ازدهرت واستخدمت في تغطية القباب في ظل الدولة الحفصية منذ الثلث الأول من القرن السابع حتى النصف الأول من القرن العاشر الهجري(٢)

(١) القفطي: المرجع السابق، جـ١، ص ١٣
(٢) زبيس: المرجع السابق، ص ٢٥٠

وفي الجزائر وجدت في قلعة بني حماد (أواخر القرن الخامس أواوائل القرن السادس الهجري ) بينما ظهرت امثلتها الاولى في المغرب في مئذنة الكتيبة .

واستخدمت لأول مرة في الأندلس في مباني قرطبة في القرن (٤هـ/١٠م)(١) ثم امتدت إلى عمائر غرناطة في القرن ( ٧هـ/١٣م ) (٢) ، وقد امتدت بعد ذلك الى عصر الموحدين (٣) كما انتقلت إلى جزيرة صقلية حيث نجدها في قصر العزيزة ببلرم الذي انشأه ملوك بني الحسين وجدده غليوم الأول في العهد النورماندي (٤) .

ومما يجدر التنويه به أن استخدام ظاهرة التزجيج بالقاشاني في المباني ترجع باصولها إلى الفنون العراقية القديمة منذ العهد السومري (٥) وربما دخلت الفن الاسلامي بتأثير من تلك الفنون .

كما ان خط الثلث التي ظهرت بوادره في العراق على يد ابن البواب المتوفي سنة (٤١٣هـ/١٠٢٢م) (٦) أمتد تأثيره إلى اقطار المغرب العربي واجمل نماذجه المنفذة على مهاد زخرفي قد وجدت في الجامع الكبير بمدينة تلمسان بالجزائر (٥٣٠هـ/١١٣٥م) (٧) ولانعلم هل ان ظاهرة شيوع هذا الخط في مصر منذ العهد الايوبي (٨)وظاهرة الكساء بالقاشاني منذ العهد

---

(١ ) الدكتور نادر العطار : العمارة الأندلسية في عصر الموحدين، مجلة الحوليات السورية لسنة ١٩٦١، ١٩٦٢م، المجلد ١١، ١٢، ص ٦٧، ٦٨.

(٢ ) الدكتور نادر العطار : فن بني نصر في غرناطة( ١٢٣٢– ١٤٩٢)، مجلة الحوليات السورية لسنة ١٩٥٨و ١٩٥٩م، المجلد ٨و٩، ص ٦٣.

(٣ ) العطار : العمارة الأندلسية في عصر الموحدين، ص ٦٨

(٤ ) عثمان الكعاك: بلرم كأنك تراها، المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية، تونس ١٨–٢٩ مايو( أيار) ١٩٦٣، القاهرة ١٩٦٥، ص ٥٣١ .

(٥ ) Scranton , OP. Cit. , PL.43

(٦ ) الجمعة: المرجع السابق، ص ١٥٣.

(٧ ) Marcais , Op: Cit. , P.463– Fig 231A

(٨ ) عبد الوهاب: من روائع العمارة الاسلامية في مصر، ص ٣٠٣ .

المملوكي (١) جاءت بفعل التأثيرات الفنية الوافدة من مشرق العالم العربي أم مغربه.

ولكننا نرجح ان الظاهرة الاولى دخلت مصر عن طريق العراق او الشام وذلك لبلوغ هذا النوع من الخط اوج تطوره في الفترة الاتابكية كما هو الحال في محراب الجامع الاموي بالموصل ( ٥٤٣هـ/١١٤٨م ) (رسم٢٦)(٢) ومنبر الجامع النوري بحماة ( ٥٥٩هـ/١١٦٤م ) (٣) علاوة على الظروف السياسية التي سادت المشرق العربي في هذه الفترة .

أما ظاهرة الكساء بالقاشاني والاجر المزلج فقد اشتهرت بها مدينة الموصل في الفترة الاتابكية، كما في قبة الجامع المجاهدي ( ٥٧٢ — ٥٧٦هـ/ ١١٧٦ — ١١٨٠م)(٤)،وقبة مزار يحيى بن القاسم (٦٣٧هـ/١٢٣٩م) (٥) ولهذا نرجح انتقالها إلى مصر على يد الفنانين المواصلة الذين هاجروا اليها بعد سقوط مدينتهم بيد المغول .

وبعد فلا بد من الاشارة إلى ان التأثيرات المعمارية والفنية الواردة في البحث اقتصرت على العناصر المعمارية والظواهر الفنية المتمثلة في المباني الاثرية التي اوردتها المصادر والمراجع الاثرية والتي لازال معظمها قائماً حتى الان ، علماً بأن هناك قسماً من العمائر قد انطمر في العالم العربي قبل ان تتناوله اقلام الباحثين والقسم الاخر لازال غير مدروس دراسة علمية وافية ، كما ان البحث لم يتطرق إلى التأثيرات المتبادلة بالنسبة للفنون التشكيلية والتطبيقية وذلك لاتساع الموضوع .

---

(١ ) عبدالوهاب : المرجع السابق نفسه، ص ٣٠٦ .

(٢ ) الجمعة: المرجع السابق، رسم٤١، صورة ٤ .

(٣ ) كامل شجادة: من مآثر نورالدين زنكي العمرانية بحماة( الجامع النوري)، مجلة الحوليات الاثرية السورية، م١٥، ج٢ لسنة ١٩٦٥، ص ٦٤، صورة ٣ .

(٤ ) الديودجي : المرجع السابق، ص ٣٢ .

(٥ ) المرجع نفسه، ص ٦٥ .

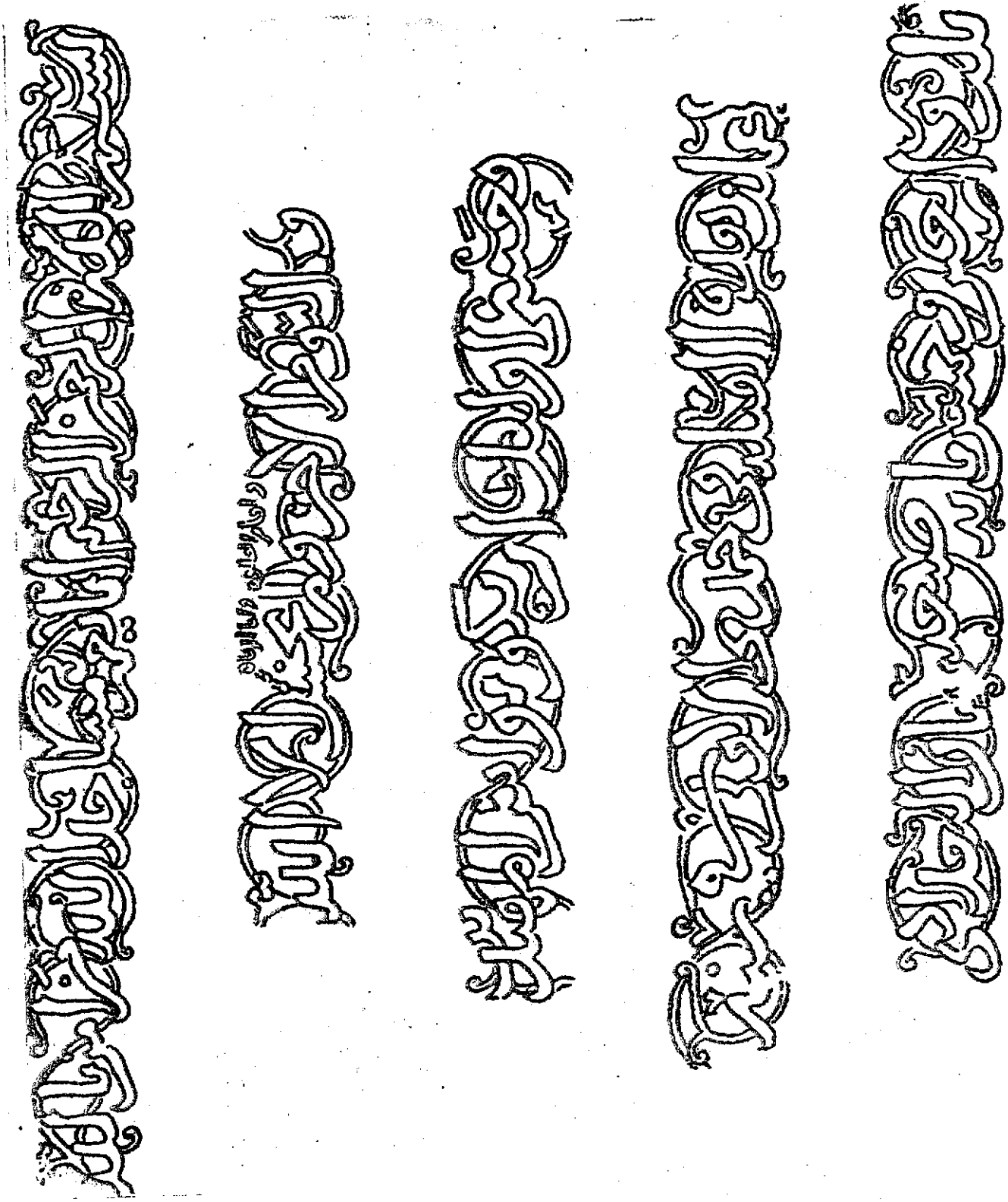

رسم (٢٦) كتابة بخط الثلث على مهاد زخرفي واقعة على الجوانب الخارجية لصدر محراب الجامع الاموي . ( تحليل الدكتور احمد قاسم الجمعة )

# مصادر ومراجع البحث

## أولاً ـ المصادر والمراجع العربية :


١ ـ ابن الأثير ( عز الدين ابي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري) :

الكامل في التاريخ ( ٩أجزاء )، القاهرة ١٢٩٠هـ .

٢ ـ ابن تغري بردي ( أبو المحاسن جمال الدين يوسف ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٥م .

٣ ـ الخطيب ( الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ): تأريخ بغداد ، القاهرة ١٣٤٩هـ/١٩٣١م.

٤ ـ الهمداني (ابن الفقيه ) :

بغداد مدينة السلام ، تحقيق الدكتور أحمد صالح العلي، الطبعة الاولى ،باريس١٩٧٧م.

٥ ـ أحمد فكري ( دكتور ) :

مساجد القيروان ،مصر ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م .

٦ ـ ـــــــ مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل) ، القاهرة ١٩٦١م .

٧ ـ ـــــــ مساجد القاهرة ومدارسها ، الجزء الثاني ( العصر الفاطمي )، القاهرة ١٩٦٥ م .

٨ ـ أحمد قاسم الجمعة (دكتور) :

الآثار الرخامية في الموصل خلال العهدين الاتابكي والايلخاني رسالة دكتوراه ( غير منشورة) مقدمة إلى جامعة القاهرة ١٩٧٥م .

٩ — احمد قاسم الجمعة : محاريب مساجد الموصل إلى نهاية حكم الاتابكة ٦٦٠هـ ،رسالة ماجستير (غيرمنشورة ) مقدمة إلى جامعة القاهرة ١٩٧١م.

١٠ — حسن عبد الوهاب :

تاريخ المساجد الأثرية ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٤٦م .

١١ — الزركلي : خير الدين :

الاعلام — قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، الطبعة الثانية ،مطبعة كوستاتسوماس وشركاه ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤م .

١٢ — سعيد الديوه‌جي :

الموصل في العهد الاتابكي ،بغداد ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

١٣ — طاهر مظفر العميد (دكتور) :

بغداد مدينة المنصور المدورة ، النجف١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م .

١٤ — صبحي أعشى:

نماذج من الفن المعماري الموحدى بالمغرب، المحمدية بالمغرب ، ١٩٧٧ م.

١٥ — صلاح حسين العبيدي :

التحف المعدنية الموصلية في العصر العباسي، بغداد ١٣٨٩هـ/١٩٧٠ م .

١٦ ــ عبد الرحمن زكي (دكتور):
القاهرة تأريخها وآثارها من جوهر الصقلي إلى الجبرتي المؤرخ ، القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .

١٧ ــ فريد شافعي ( دكتور ) :
العمارة العربية في مصر الاسلامية ، المجلد الاول ، القاهرة ١٩٧٠م.

١٨ ــ فؤاد سفر :
تنقيبات واسط ، القاهرة ١٩٥٢ م .

١٩ ــ كمال الدين سامح ( دكتور ) :
العمارة الاسلامية في مصر ،مصر.

٢٠ ــ ـــــ العمارة في صدر الاسلام ، القاهرة ١٩٧١م.

٢١ ــ محمد وهبة :
الزخرفة التاريخية ، القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧٢.

٢٢ ــ المراكشي ( ابن عذارى ) :
البيان المغرب في اخبار المغرب ( أخبار العرب ) ، بيروت ١٩٥٠ م .

٢٣ ــ مصطفى جواد ( دكتور) واحمد سوسة ( دكتور ) :
بغداد، قديماً وحديثاً ، بغداد ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م

٢٤ ــ نجاة يونس :
المحاريب العراقية ، رسالة ماجستير ( غير منشورة ) مقدمة الى جامعة بغداد ١٩٦٩م.

٢٥ ــ الناصري ( ابو العباس بن خالد ) :
الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ؛ تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، الدار البيضاء ١٩٥٤ م .

**ثانياً — المجلات والمقالات العربية :**

١ — احمد فكري ( دكتور ) :

بدعة المحاريب ، مجلة الكاتب المصرية ، المجلد الرابع ، العدد ١٤ ، نوفمبر ١٩٤٩م .

٢ — —— التأثيرات الفنية الاسلامية العربية على الفنون الاوربية ، مجلة سومر ، المجلد٢٣ ، بغداد١٩٦٧م .

٣ — حسن عبدالوهاب :

الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة ، المؤتمر الرابع الآثار في البلاد العربية ، تونس ١٨ — ٢٩ مايو ( آيار ) ١٩٦٣م ، القاهرة ١٩٦٥م .

٤ — —— من روائع العمارة الاسلامية في مصر ، المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية ، تونس ١٨ — ٢٩ مايو ( آيار ) ١٩٦٣م ، القاهرة ١٩٦٥م .

٥ — سليمان مصطفى زبيس :

المحاريب في العمارة الدينية بالمغرب العربي ، المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية ، تونس ١٨ — ٢٩ مايو ( آيار ) ١٩٦٣م. القاهرة ١٩٦٥م.

٦ — ربيع القيسي : جامع الجمعة في سامراء تخطيطه وصيانته ، مجلة سومر ، المجلد ٢٥ ، الجزء١ لسنة ١٩٦٩.

٧ — عثمان الكعاك :

بلرم كأنك تراها ، المؤتمر الرابع للاثار في البلاد العربية ، تونس ١٨ — ٢٩ مايو ( آيار ) ١٩٦٣ م ، القاهرة ١٩٦٥م .

٨ ــ فريد شافعي ( دكتور ) :
الاخشاب المزخرفة في الطراز الاموي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة، المجلد ١٤، الجزء ٢، لسنة ١٩٥٢ م.

٩ ــ كامل شحادة :
من مآثر نور الدين زنكي العمرانية بحماه ( الجامع النوري ) ، مجلة الحوليات الاثرية السورية ، المجلد ١٥، الجزء ٢ ، لسنة ١٩٦٥ م.

١٠ ــ نادر العطار ( دكتور ) :
العمارة الاندلسية في عصر الموحدين ، مجلة الحوليات الاثرية السورية المجلد، ١١و١٢ لسنة ١٩٦٠ م.

ثالثاً ــ المراجع الاجنبية المترجمة :

١ ــ حوميث ( مانويل ) :
الفن الاسلامي في اسبانيا ، ترجمة الدكتور لطفي عبد البديع والدكتور محمد عبدالعزيز سالم ومراجعة الدكتور جمال محمد محرز ، مصر ١٩٦٨ م.

٢ ــ موسكاتي ( سبتينو ) :
الحضارات السامية القديمة ، ترجمة الدكتور السيد يعقوب ابو بكر ومراجعة الدكتور محمد القصاص ، القاهرة.

## رابعا / المراجع الاجنبية غير المترجمة :


1. Abbu ( A. N. ) , The Ayyubid Domed Buildings of Syria ( Ph . D. Thesis, Edinburgh University 1973 ) .
2. Bell (G. L.) , Palace and Mosque at Ukhaidir , Oxford 1914.
3. Creswell (K.A.C.) , Early Muslim Architecture , Oxford 1932.
4. ----------, The Muslim Architecture of Egypt , Oxfotd 1959 .
5. ..... -, Ashort Account of Early Moslim Architecture, Penguin and Pelican Book 1958.
6. Ghirshman (R.) , Iran Parthians and Sassanian , Thames and Hudson, France 1962 .
7. Havell (E.B.) , Indian Architecture , 2nd. Ed. , London 1927 .
8. Marcais (G.) , Manuel D'Art Muslman I'Architecture , paris 1920.
9. Rivoira (G.T.) , Moslem Architecture its Origins and Develompment, Edinburgh 1918.
10. Scranton (R.L.) , Aesthetic Aspects of Ancient Art , Chicago 1964 .
11. Sordo (E.) , Moorish , Spain , Cordoba , Seville , Granada , Canada 1963.